نحو ثقافة واعية للشباب والأسرة (١)



أعراضها - أسبابها - أخْطارهاَ - مُعَالجتهَا

محمد علي قطب




المراهقة
أعراضها. أسبابها. أخطارها. معالجتها

الطبعة الثانية
١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م

رقم الإيداع القانوني
١٩٩٩/٥٢٩١

الترقيم الدولي : 977-253-149-6

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي: ٢ ش منشا ـ محرم بك ـ الإسكندرية. تليفاكس :: ٣٩٠١٩١٤ ـ ٣٩٠٧٩٩٨

المراهقة

أعراضها . أسبابها . أخطارها . معالجتها

تأليف

محمد علي قطب

راجعها وأشرف على إصدارها

معتز محمود شكري

دار الدعوة

للطبع والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحیم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

كثيرة هي الكتب التي صدرت وتناولت قضايا المراهقة والبلوغ والزواج .. ولكن نظرة سريعة على فهرس هذا الكتاب (وهو الأول في سلسلة متكاملة حول الموضوع) تكفي للدلالة على أنه جديد .. وجريء .. ومركَّز .. ومسلسل .

إن المؤلف يتناول المراهقة، وبدايات الشعور الجنسي، وعلامات البلوغ عند الذكر والأنثى، ومشاكل هذه المرحلة الحرجة ، ويحكي نماذج من تجاربه وما عايشه مع الآخرين ، ويتناول الانحرافات الجنسية .. أسبابها وآثارها، والشذوذ الجنسي، والاستمناء، ولا يغفل تحليل واقع الشباب المعاصر،

فيتحدث عن الشاشة الصغيرة، والڤيديو ، والدِّش، والڤيديو كليب ، والمخدرات ، والتدخين، والخادمات الأجنبيات .

إنه ـ باختصار ـ لا يترك شيئاً له علاقة بالمراهقة والشباب ومشاكلهما إلا ويتناوله بالشرح والتحليل، في لغة سهلة بسيطة ، وأسلوب راق عفيف ، ومنهج علمي مفيد .

والقرّاء الذين لهم باع في قراءة الكتب الدينية سيتعرّفون على المؤلف بلا شك ، فهو الذي قرأوا له من قِبَل العديد من الكتب والسلاسل في السيرة والتاريخ الإسلامي وأمهات المؤمنين وأعلام الصحابة والصحابيات .

فقد نذر الأستاذ محمد علي قطب حياته للكتابة في الموضوعات الإسلامية بمختلف ألوانها وشتى قضاياها، حتى صار له اسم لامع بارز على مستوى الوطن العربي

والعالم الإسلامي وليس مصر وحدها .

ونحن نقدم له هذا الكتاب باعتباره باكورة سلسلة جديدة تتناول قضايا الشباب وتكوين الأسرة السعيدة، ونحث القرّاء الأعزّاء - والشباب منهم خاصة - على اقتناء باقي الأجزاء لتكتمل لهم ولهن الفائدة المرجوة، وليحصلوا على ثقافة علمية وطبّية واجتماعية ودينية في كل ما يشغل بالهم من أمور تتعلّق مباشرة بالمرحلة السنِّية التي يعيشونها، وبالمشاكل التي يتعرّضون لها.

مع خالص الدعاء لهم جميعاً بصلاح الدين
والدنيا والعافية فيهما والسعادة في تكوين
أسرة مسلمة نقية وقوية ومتقدِّمة

معتز محمود شكري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إِنّ الحمد لله، نحمده تعالى ونشكره، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذُ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادى له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك ولهُ الحمد، ولهُ الخلْق كله، يُحْيي ويميت وهو على كل شيءٍ قدير؛ ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمداً عبد الله وَرَسُوله، أرسله الله بالهدى ودين الحقّ ليُظهره على الدين كلّه، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونَصَح الأمَّة، وكشف الله به عن الجاهلية الغمة، وتركنا على المحجة البيضاء، صفيَّةً نقيَّة، لا يضلُّ عنها إلا زائغ؛ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد،

فإنّ (المراهقة) كمرْحلةٍ سنِيَّة فى حياةِ الإنسان، سواء كان ذكراً أَمْ أنْثى، هى من أخطر وأهَمِّ المراحل، لأنَّهَا المدْخل إِلى التكامُل العُضْوى فى الكيانِ البشرىِّ، وعلى ظروفها وعواملها، والمؤثِّرات فيها، تَقومُ النّسْبَةُ الكبْرى فى بناءِ الشَخْصيَّة المسْتقبلية، وظهور معالمها.

وحيث إِنَّ (الأُسْرة) بكل مُعْطياتها الإيجابية والسلبيَّة، رُسُوخاً أَوخللاً، نجاحاً أَوْ انهياراً، تلاحماً أو تفككاً، إِنما يتأتّى من عنصريْها (الذكر والأنْثى) معاً، لذا كان لزاماً علينا وبالضرورة القصوى والاهتمام الأَعْظم تَتَبُّع كلا العُنْصريْن، وملاحظتهما ومراقبتهماوتوجيههما، وبذل كل الوسْع والجهد فى تقويم سلوكهما فى هذه المرحلة الهامة، وفق المقتضيات السلوكيَّة سليمة، التى ترسخُ فى وجدانهما وعقلهما أَسْمى القيم الإنسانية، دونما ضَغطٍ أَوْ إكراهٍ، وبِكُلّ الوسائل المتوفِّرة، ومن ثَم تتأكّد لَدَيْنا وتتكون اللبنة المتينة الصلبة فى الصرْح الاجتماعى.

إِنّ أكثر ما نُعانيه اليوْم من ضعْفٍ فى الكيانِ الأُسرى إنّما مَردَّهُ إلى المفاهيم

والسلوكيّات التى تشبّع بها وَعاشها عُنصُراَ الأسْرَة فى مرْحلَةِ (المراهقة)، فانعكست على مدى مسيرة حياتهما، وكان ذلك فى غفلةٍ من الضّمير الدينىّ، والانجراف الكُلّى تحت دعاوى الحداثة والحضارة والعصرية... والتنوير...، وما إلى ذلك مَن تهيؤاتٍ وأوهام...، وتقليدٍ أعْمى...

وكما أننا ننحى باللائمة على هذا الانْفلات فى التّقليد، ونبيِّن عُواره، ومثالبه وعُيوبه...، ونؤكّد على ضرورة مواجهته بمسؤوليَّة جماعيّة، نرى من ناحيةٍ ثانية أنَّ التزمُّت والانغلاق إنما يؤديانِ إلى نفس النتيجة فى العماوة والضلالة..!

فالتعادليَّة والتّوازن فى الكيان البشرى السوىّ (لا إفراط ولا تفريط) هُما أُسٌ البناء السليم، وقاعدته المتينة.

ولو أننا استقمنا على الطريقة والشّريعة لأَمنَّا العِثار، ووقينا الزَّلل، وضَمنّا لأجيالنا حياةً أكمل وأفْضل وأرقى.

من هذا المنطلق أحببت أنْ أُدْلى بِدَلْوى، وَأُسْهِم بجهد المقلّ، راجياً من الله تعالى حسن القبول،

والله الموفِّق،

محمد على قطب

المراهقة
لغةً واصطلاحاً

لا يَخْتلف معنى (المراهقة) بَين اللغَةِ والاصطلاح، فقد جاء فى المعاجم - عموماً :

رَهِقَ - بكسر الهاء - رهقاً، أى: سَفُه، فهو: رَهِق.

وتعنى أيْضاً: خَفَّ. و: ظَلم، و: فَعَلَ القبائح. وتعنى أيضاً: عَجِلَ، و: كذب.

ويقال: رهق السَّفَر بمعنى: دنا وحانَ.

ويُقال: رَهِقتِ الكلابُ الصَّيْد، أى: لحقَتْه.

ورَهَقَهُ: اتَّهَمَهُ بِشَرٍّ.

وراهَقَ الغُلامُ؛ أى: قارَبَ الحُلُم، أى: بَلَغَ حَدَّ الرِّجال، فَهُوَ: [مُراهِق].

ويُقال: صَلَّى الصلاةَ مراهقا؛ أى: مُدانياً لفواتِ وَقْتِها.

ويُقال: أرْهقه ظُلْما: ألحقه بِهِ، أوْ إِثْماً، أى: حمَّله إياه، و: عسْراً: كلَّفه إيَّاه.

ولقد وَرَدَت مادة كلمة: (رهق) فى القرآن الكريم فى ثمانية مواضع:

١ـ قوله تعالى: ﴿ووُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ . تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس - ٤١] - أى: تغشاها ظُلْمة وسواد.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾[يونس - ٢٧].

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ﴾ [يونس - ٢٦].

٤ ـ قوله تعالى ﴿ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً . سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ﴾ [المدثر - ١٧] أى:

سأكلفه عذاباً شاقاً لا يطاق.

٥ـ قوله تعالى: ﴿أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف ـ ٨٠] (يكلفهما).

٦ـ قوله تعالى﴿ قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾[الكهف ـ ٧٣] (لا تحملنى ما لا أطيق).

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن ـ ٦] (إثماً، أو طغيانًا وسفهاً).

٨ـ قوله تعالى: ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا﴾ [الجن ـ ١٣] (غشيان ذلة).

فنجد أن الكلمة ومشتقاتها فى القرآن الكريم متقاربة المعنى، وكلها لا تعدو: العُسْر أو الشِّدة أو الطغيان.

ولَوْ أننا دقَّقنا فيما استُفرغت فيه الكلمة من قالبٍ اصطلاحيٍ لوجدنا أنها (حالة) من حالات وتطوَّرات الكِيان البشرىّ تتلبَّس سناً معينة أو مرْحلة من المراحل.

هُنا نُعَوِّل على الدراسات العلميَّة فى إطار التحوُّلات النفسيَّة والعضويَّة التى تنتاب هذا الكيان، ذلك أن العِلْمَ والحقيقة صنوان لا يَفْترقان، ونَحْنُ إنما ننشد الحقيقة ونستهدفها، كى نتعامل بموضوعيَةٍ وصِدْق، فلا نلقيِ الكلام جزافاً، ولا نطلق القواعد والنظريات فى غير تَحرٍ أو تدقيق.

ومما هو ملاحظ فى كلمة «المراهقة» أنها على وزن «المفاعلة»، والمفاعلة إنما تحمل فى طياتها معنى الحركة العنيفة بين طرفيْن، فكذلك المراهقة... ! إنها تفاعل داخلىّ لا يلبث أن تظهر آثارُهُ فى الكيان البشرىّ كلّه نَفْسياً وعضْوياً، ومن ثَم تبْدأ معه فى الظهور آفاق التطلعات والشُّبوب الجنسىّ بكلّ أبْعادها ومخاطرها.

وهذا يَقْتضينا أنْ نخصِّص الفصْل القادم مِنَ البَحْث فى الإحساس بالجنس، متى يَبْدأ؟ وكيف؟ ما هى مظاهره؟

الإحساس ـ أو الشُّعُور ـ الجِنْسى

تقول معاجم اللغة عن مادَّة كلمة «الجنس» ما مختصَرُه:

(جَنَسَ جَنْساً) ـ الثَمَرُ: نَضِجَ كُلّه، كأنهُ صار من جِنْسٍ واحد.

(وجَنَسَ جَنْساً الماءُ) ـ ونحوه : جَمَدَ.

(جَنَّسَهُ): شاكَلَهُ

(جانَسَهُ جناساً ومجانسة): شاكله واتَّحد معه فى الجِنْس ومنه: «فلان يُجانس البهائم»: إذا لم يكنْ له تمييزٌ وعَقْل.

(تجانسا): اتَّحدا فى الجِنْس. ومنه: (مع التجانُس التآنس).

(الجِنْس): ماهيَّة تضم أنواعاً متعددة، كالحيوانية فى الإنسان وفى الفرس.

كُلُّ ضَرْبٍ من الشىْء؛ فالإبل مثلاً ـ جِنس من البهائم؛ والجمع: أَجْناس.

(الجِنْسيَّة): حالة أو ماهية الجِنْس.

(الجناس)ـ فى البَديع من علوم البلاغة: تشابه الكلمتيْن فى اللَّفظ، أو بعضه.

فهى بمجملها تعنى: النَّوْع.

وهى لها نفس المدلُول فى الإنسان عند التفرقة بين الذكورة والأُنوثة؛ وهذا ما تُعُورف عليه فى كتابة شهادات الميلاد، عند ذكر جنس المولود، أوْ نَوْعه!

أما مَدْلولها العُرفى الاصطلاحى ـ الذى أَصبَح مالوفاً ومُدرجاً فى اللُّغة ـ فهُو ترجمة غير تقنيَّة أو تطابقيَّة لكلمة: (sex) الأجنبيَّة.

وليس الكلام الذى قدَّمنا بِهِ إلا توْطئة ضروريَّة، أَو مدخلاً إلى البْحث الذى نحن بصدده.

المسؤوليّة

فى هذه المرحلة التكوينية الخطيرة ـ من عمر الفتى والفتاة ـ الذكر والأنثى ـ على عاتق مَنْ تقع المسؤولية، فى المراقبة والملاحظة والتوجيه؟

إنها ـ ولا شك ـ مسؤوليَةُ الأبوين معاً، رَبُّ الأسْرةِ ورَبَّةُ البيْتَ، فكلاهما معاً يتقاسمان هذه المسؤوليَّة، ويتحملانِ تبعاتها، فإذا كانا على مستوى هذه المسؤولية فهماً وعلْما وتجربةً وتعاوناً، ضمنا أبناءً صالحين، على جانب كبيرٍ من الاستقامة فى السُّلوك، وضمنا ـ أيضاً ـ أُسرةً طيبَةً ولبنَةً متينةً فى البناء الإجتماعى، وفى صَرْح الأمَّة؛ أما إذا كانا غيْر عابئيْن، قد شَغَلَتِ الأب عن بيْتِه هموم المادة وزخرف الحياة ومتْعة الدُّنيا، وانغمستِ الأُمّ بدورها فى أتون الزياراتِ والنوادى واللقاءات، والثَّرْثرة..! وانْحطَّت من علياء مرتبة الأمّ (المربية)، إلى دَرْك الهوائية الفارغة... وتَخلَّت عن مهمَّتها..، فقُلْ على البيت السلام، وعلى الأسرةِ التفكُّك والانحلال، وضياعُ الثَّمرة... بعد تهرُّئها وتعفُّنها (بِنتاً أوْ ولداً).

وهذا ـ ولا شَكَّ أيْضاً ـ لُبُّ المأساةِ التى تُعانى منها نِسبةُ كبيرة من أسَرِنا وعوائلنا، وهو طابَعُ مُجْتمعنا اليوم فى واقِعه المريض.

وهو ليس وقْفاً على طبقةٍ معيَّنة، قد أوتيت من خير الدُّنيا القناطير المقنطرة، ورتعت فى بحبوحَةِ ورَغَدِ الحياة، وهانت عِنْدها القيم، وتعبدتْها الشهوات...، بل إن غيرها من الطبقات الاجتماعية، متوسطة أو فقيرة أوْ مَعْدومة... تنهج نَهْجها وتحذو حذوها، تقليداً واتباعاً وتأسيا[1].

حتى إِن معظم الجرائم التى تُرْتكب تحتَ دَعْوى الحاجة، ومسمّى الفقْر، إِنما تبعثرأموالها فى كُلّ مُنْكر، هنا وهُناك.

وهذا الكلام الذى نقوله ليس إفتئاتًا ولا تجنياً، ولا خَبْط عشواء، إنّما هو

---

(١) ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [سورة الأحزاب الآية ٦٨].

إحصاءات ودراسات، وأنت لو اطلعْت على صفحات أخْبار الحوادث والجرائم فى أية مجلة دوريَّةٍ أو صحيفةٍ يوميَّة لرأيْت العجب العُجاب، وصِدْق الدعْوى التى نَدَّعى.

وهنا لابُدَّ أن تكون لنا وقفة مع كتاب الله تعالى، الذى لا يأتيه الباطل من بَيْن يديه ولا من خَلْفهِ تنزيل من حكيم حميد..، وأيضاً مع سنَّةِ نبيِّنا المصْطفى - صلوات الله وسلامه عليه - قوْلاً وفعِلاً وتقريراً، لأنها جُزْء من التشريع، ولأنه ﷺ القدوة والأُسْوة الحسنة.

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(١).

فالتوجيه الربَّانى أول ما يتناول عنصُرَى الخليَّة (الزَّوْج والزَوْجة) - (الأب والأم) - (الرجُل والمرأة)..!

يُحَذِّرهُما ويُنذرهما ويتوعَّدهما..! ليْس فى ذاتهما فقط، ولكن فيما يؤول إليْه تزاوجهما وإنجابهما، وما ينبثق عَنْهُما: ﴿ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ﴾.

إِذا...، فالمسؤوليَّة فى الوعيد مضاعفة، لأن الجريمة مزدوجة: إهْمال الذات فى الانحراف والانجراف، والعصيان؛ ثم انْعكاسُ ذلك على الأهْل... فلذات الأكباد!!

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾:

الخطاب موجَّه للمؤْمنين الذينَ تلبست قُلُوبَهُم وجوارحهم نوازع الإيمان، وشَعَّتْ فى أفئدتهم أنوارُهُ، فتبينَتْ لهم سبل الغىِّ من الرشاد، والهداية من الضلالة والفساد، فأدْركوا ذواتهم قبْل الوقوع فى المحظور، والتمرُّغ فى الوحُول، وسقوطهم فى بؤرة المرَض..!

ولقد كانت كلمة فِعْل الأمْر: ﴿ قُوا... ﴾ فى موْقعها المناسب لَفْظاً ومعنىً،

---

(١) سورة التحريم الآية: ٦.

ذلك أن الوقاية إنّما تكونُ قَبْل العلاج، فَمَن أدركها وعمل بمقتضاها أَمِنَ العثار، ونجا من الوَباء، الذى قد يطول معه العلاج زمناً، وقد لا يشفى مِنْه المريض. . . ، وهذه ليست افتراضات ولكن منطقيات، ذات مقدمات ونتائج.

﴿وأَهْلِيكُمْ. . .﴾:

ولعلّنا نضيق المعنى ونَحصُرهُ ـ أوْ نَبتسره وننتقص ـ إذا نَحن توقفْنا فى تحديده عِنْد الأولاد فقط ـ بنين وبنات ـ، فهو أَشْمَلُ وأَوْسع، فالأبُ والأمّ بالنّسبة إلى الزوج والزوجة أهل. . ، والإخوة أهْل. . . ، فأىُّ خَيْر يَصْدُرُ عنهما (الزوج والزوجة) ينعكس حَتْماً على مُحيط الأهْل، من الناحيتيْن: المادية والأدبية؛ سلْباً وإيجاباً، والعكس بالعكس.

والذى يشدّ الانتباه ويلفت النظر فى الآية الكريمة تغْليظ صورة النَّار. . ! التى وقودها الناس والحجارة، اشْتعالاً والتهاباً وتأجُّجاً، ورائحة ودخاناً وتلبثا. . !

ثُمَّ صورة الملائكة القائمين علَيْها. . !

إنّ المفهوم المألوف عن كَلمة: الملاك. . ، فى الذهن والنَّفْس، يحمل معنى الوداعة والطيبة والرقة، فَأنْتَ عندما تريدُ وَصْف إنسانٍ ما بهذه الصِّفات، تختَصِرها بكلمة (ملاك). . ! فتقول مثلاً: إنّه ملاك، أو: كأنَّه من الملائكة. . !

لكنَّ ملائكة العذاب هنا لهُم صفاتٌ أُخرى، إنَّهُم غِلاظٌ. شِداد. . !

وَأيْضاً لَيْس لديْهم ـ فى كينونتهم ـ حريّة الاختيار مثل المخلوقات البشريَّة، فقد ترق وتلينُ قُلُوب الآدميِّن حين يُباشرون العذاب الأليم، فيكفُّوا عن التعذيب قليلاً أو كثيراً، وقد يمتنعون عن تنفيذ الأوامر. . . ، أما ملائكة العذاب (الغِلاظ الشّداد) فإنهم مثل باقي الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون[1]. . . ، إنها استْمراريَّة فظَّة قاسية تتمددُ وتَتجدَّد ـ والعياذُ بالله ـ !!

وبعد. . .

فلا أظنّني أطلْتُ عليك فى الشَّرْح والسَّرْد، ذلك أن هناك آياتٍ أخرى،

---

(١) راجع الآية (٣٤) من سورة البقرة.

محكمات بينات، تؤكِّد المعنى، وتحدّد المسؤولية، وتنذر وتحذِّر، يتّعظ بها من كان له قلب، أوْ ألقى السَّمْع وهو شهيد

ويقول سيدنا رسول الله ﷺ، معلِّم الأوَّلين والآخرين - فى الحديث الشَّريف:

«كلُّكُم راعٍ، وكل راعٍ مسؤول عن رعيته، فالأمير راعٍ على الناس وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيْت بَعْلها وهى مسؤولة عنهم، والعبْد راعٍ فى مال سيِّده وهو مسؤول عن رعيته»[1].

ويقول - عليه أفضَل الصلاة وأزكى السلام:

«خيْرُكم، خيركُم لأهله، وأنا خيْركُم لأهْلى»[2].

ويقول ﷺ:

«أحسن المؤمنين إيماناً أحْسنهم خُلقاً، وخيارُهم. خيارُهم لنسائهم»[3].

وروت السيدة عائشة - رضى الله عنها - فقالت

«كان رسول الله ﷺ يكون فى مهنَة أهله[4]، فإذا حضرت الصلاةُ خرج إلى الصلاة»[5]

ونحن لورحنا نستقصى ما قاله رسول الله ﷺ أو ما نُقِلَ عنه من فعْل وتقريرٍ - فى هذا المجال لضاق بنا الحال، وما وفّيناهُ حقه، إنما أحْبَبْنا أن نورد نماذِج من توجيهاته ﷺ فى سُنَّته الشريفة حول ما يتعلّق بمسؤوليَّة الرَّجُل نَحْو أهْل بيْته، وهى جزئيَّة بسيطة محدودة من كُلٍّ لا حَصْر له ولا عَدّ.

وأوّل ما يتعلَّق بالرعاية (المسؤولية) - الزَّوْجة؛ لأنّها ركن البيْتِ وأساسُهُ، ومَجمعُ أمورِه، فإنْ وفّاها حقَّها كاملاً غير منقوص، وتعهَّدها بالرعاية والحنان،

(١) رواه (البخارى ومسلم) فى صحيحيهما
(٢) رواه (الطبرانى).
(٣) رواه (الترمذى) فى سننه
(٤) أى مساعدتهم فى شؤون المنزل.
(٥) رواه (البخارى و الترمذى)

كانت من جانبها خير معين على تدبير الشؤون كُلّها، وخاصَّةً في تربية الأولاد، وتنشئتهم التنشئة الصالحة...، لأنَّها في هذه الحال تكون على مستوىً عالٍ من راحةِ النَّفْس وصفاءِ الوجْدان ووضوح الرؤْية، وسلامة المقْصد؛ غير معقَّدةٍ ولا مبَلْبلة ولا ضعيفة..!

ويرى عالم النفس الشهير :

«سيجموند فرُويْد» أَنَّ إقبال الأُمّ على طِفْلها - أَوْ طفلتها - ليس حبّاً بالمعنى المجرَّد، بل هُوَ تصرّف جِنّسي محض...، كالاحتضان الزائد والإفراط في التَّقْبل، وأحياناً الاستمتاع بالتأمُّل في الجهاز التناسْليّ..!

فهذا كلامُ مَرْدودٌ على صاحِبِه، ومن عِدَّة وُجُوه:

أوَّلُها: أن المرأة الحامل رغم كُلّ ما تُعانيه من آلامٍ في الثِّقل، وبُطْء الحركة، والمظْهر الانتفاخيّ، وتَغَيُّر مذاق الأطعمة في فمها، والتقلُّبات الصحية والنفسيَّة، رغم كلّ هذا تتحسسُ دائماً بيدها التكوُّرٍ في بَطْنها، برفْقٍ زائدٍ وحنانٍ بالغ...، وقَبْل أنْ يرى الجنين النُّور، ويخرج إلى الوُجُود، وقبْل أن تتلمسه جَسَداً بَيْن يَدَيْها؛ فماذا نُسمِّي ذلك؟ أَلَيْس نَوْعاً من التَّواصُل العاطفيّ؟ أَلَيْس حُبّاً؟ وأَيْن الجنْس في هذا كلّه؟

وثانيها: وتبلُغُ الحامل قِمَّة السَّعادة عند أوَّل حَرَكةٍ في بَطْنها، يَتحركها الجنين الذي دَبَّت فيه الروح، ثم لا تَترُك أحداً من أهْلها ومعارفها إلا أخبرتْهُ بذلك، وهي ضاحكةُ مستبشرة...، فرحة جَذِلة...، وقد تكُون الحركات أحياناً سريعة متتاليةً عنيفة...، فيبدُو على قسماتِ وجهها الانزعاجُ البدني الحِسِّيّ، مع ابتسامة عريضة تعْكس فَرْحتها وسعادتها...، فهل في ذلك مظهر من مظاهرِ الجنس؟ أَوْ أيَّ إحساس بِه؟ إنه الحُبُّ.. والحُبُّ وَحْدَه، لكائن في الأحْشاء، وجزءٍ من الحشاشة، سيغدو عن قريب - بعد التلاصُق - مُنْفَصِلاً..!

وثالثها: أن آلام الوضْع أشد ما تعانيه المرأة الحامل من ظروفٍ صحيَّه، حتى إنَّه قيل بأَنَّها تُولَد من جديدٍ معَ مولُودها، وقد تُصيبها غَيْبُوبة، تستمر قليلاً أَوْ

كثيراً، مع خمودٍ فى الجِسْم وضعْفٍ فى الحركة، وتستعيدُ بعض نشاطها، وانفراج أساريرها مع احتضانها لِفلْذَةِ كبدها، وإقبالِه على ثَدْيها..

ولَوْ أننا لاحظنا بدقة (الكيفيَّة) التى تحتضنُهُ بها، وتضمهُ إليْها، لادْركنا منذ هذه اللحظة معنى الحُبِّ الكبير لقطعةٍ حيَّةٍ انفصلَتْ عَنْها..! فأيْن الجنس بمفهومه «الفرويدى» الهابط هنا؟؟

وقد يكونُ فى المولود عاهة، أو بشاعة، أو ما شِئت من المنفرات...، فإن ذلك لا يمنع الحُبَّ أبداً، بل يَقْترنُ به العَطْف والحنان، اللذان يَنمُوان ويكبرانِ معه، كلما تقدَّمت بالمولود الأيام أو الشهور، أو الأَعْوام، فأَين الجنس فى هذا أيْضاً؟!!

إِذاً... فلا مجال إطلاقاً لترداد ما قاله (عالم النفس والجنس): «فرويْد»:

بأن الإنسان لا يحقق ذاته بغيْر الإشباع الجنسىّ...، وكُل قَيْد من دِينٍ أو أخلاق أو مجتمع أو تقاليد هو قيْد باطل، ومدمر لطاقة الإنسان، وهو كبت غير مشروع..!

ذلك أنَّه حَصَرَ (الطاقة) البشريَّة فى الجزء الحيوانى من الكيان الإنسانى، وأصرَّ على تَدْمير الجزء العلوى الروحى من هذا الكيان..!

وليس ذلك بقريب على من هو مِثْله فى أصُولِه العقيدية..!

يقول أحد (بروتوكولات حُكماء صهيون:

(يجب أن نعمل لتنهار ـ الأخلاق فى كل مكان، فتسهل سيطرتُنا..، إن «فرويْد» مِنَّا!!! وسيظلُّ يعرض العلاقات الجنسية فى ضوء الشمس لكى لا يبقى فى نظر الشباب شىْء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه) ـ اهـ.

*****

البلوغ وسن المراهقة

يقول الأخ الأستاذ «محمد عثمان الخشت» فى كتابه (وليس الذكر كالأنثى) (ص: ١٢ وما بعدها):

(مرحلة البلوغ: هى تلك المرحلة التى يتم خلالها التدرّج نحو النضج الجسمى والنفسىّ والاجتماعى، فهى مرحلة انتقالية، يتحول خلالها الطفل إلى رجل بالغ، وتتحوَّل فيها الطفلة إلى امرأة بالغة والاثنان يتعرَّضان فيها لجملة تغيُّرات تطوريَّة تقدميَّه، تهدف فى المقام الأوّل إلى اكتمال النُّضْج.

ومرحلة البلوغ بكل مظاهرها ليست متشابهة عند مختلف الأمم والأفراد، بل هى تتباين بتبايُن الأفراد والأمم، ذلك لأن مرحلة البلوغ لا تتحدد وفقاً للعوامل الوراثية (البيولوجية) وحدها، بل تتحدد وفقاً للتفاعل بين هذه العوامل وبين الأنماط الثقافية والفكرية السائدة فى المجتمع[١].

وما نريد أن نؤكد عليه أكثر من غيره فى هذا الموضوع هو وجود فروق عديدة ومتنوعة بين الجنسيْن، فى كل تغيرات وتطورات هذه المرحلة.

فمعظم الدراسات تشير إلى أن البنات أسرع نمواً من البنين، وإن كان نمو البنين يظل مستمراً بعد توقف نموّ البنات، حتى ترجح كفتهم النُّمَويَّة على البنات نتيجةً لهذا الاستمرار.

ولنأخذ الطول مثالا على ذلك، فحيث يتساوى الجنسان فى الطول - فى العاشرة أو الحادية عشرة - نجد أن البنات فى الثالثة عشرة يتفوَّقن على البنين، ثم فى حوالى الخامسة عشرة يعود الجنسان فيتساويان مرةً أخرى، ثم يأخذ البنون بعد فى التفوق على البنات بشكل ملحوظ.

(١) يبقى عامل واحد لم يذكره الأخ الأديب الأستاذ (الخشت)، وهو عامل البيئة المناخية، فإن المناطق الحارّة أشد وأسرع فى التأثير، لذا يتم البلوغ لدى (الذكر والأنثى) فى سنّ أقلّ وأدْنى مما هو معروف ومألوف فى المناطق المعتدلة، والذى تجرى القياسات عليه. كما أنه يتأخر فى المناطق الباردة تأخراً ملحوظاً؛ ومن أجل ذلك كان التباين فى تحديد سن الزواج (قانونا) بيْن منطقة وأخرى.

وإذا أضفنا جانب الوَزْن إلى جانب الطول، فستغدوا الصورة أكثر وضوحاً، فحيث تكون البنات قبل البلوغ أقل وَزْناً من البنين يُصبحن فى المرحلة المبكّرة من البلوغ أكثر وزْناً من البنين، ثم بعد هذه المرحلة يأخذ البنون فى التفوق.

وكما سبق، فإن البلوغ يصحبه جملة تغيُّرات أساسيَّة هامَّة تكاد تتناول أجهزة الجسم كلها، خاصَّة الجهاز العصبى، والجهاز التناسلى، ويتلخّص معظمها فى خطوات التحوُّل من دور الطفولة بكل مالها من حقائق ومظاهر إلى دور الأنوثة الكاملة، أو الرجولة التامة... فى القوام، والبنيان، والمظهر، والنموّ، وسائر الصفات العقلية والنفسية والجسمانية وفى مختلف الميول والرغبات، واتجاهات التفكير والتطبع والْخُلُق، وذلك فضلاً على الصفات التناسليَّة الثانوية الخاصة لكُلّ من الجنسين).

ثم يفيض الأخ الأستاذ (الخشت) فى وصف مظاهر البلوغ لدى كُلّ من الذكر والأنثى، فيقول:

البلوغ (عند) الذكر:

فى الفتى تحدث جملة تغيُّرات أساسيَّة، حيث تطول قامته، وتصلَّب عظامه، وتصبح عضلاته قوية مفتولة، ويعرض كتفاه، أما حوضه فيظل ضيقاً، وتطول عظام فخذيه على حساب جذعه؛ واستيفاء لتكوينه الرجولى يظل كتفاه أعرض من حوضه، وجذعه مربوعاً، يحمله فخذان طويلان مفترقان.

وبشكل ملحوظ تنمو له عضلات من غير أن تتخلّلها أنسجة شحميَّة.

وتنمو أعضاؤه التناسلية: الباطنة والظاهرة، فتفرز الخِصية الحيوان المنوى القادر على الإخصاب، ويصبح كل عضو قادراً على أداء وظيفته، وتَتَّسع حنجرته ويمتاز صوته بخشونةٍ واضحة، ويكتسى جلده بالشَّعْر[1]، خاصة فى منطقة العانة والإبطين، وتنمو لحيتُه.

وتتحول فيه روح الطفولة وطباعها إلى النضوج والذكاء، مما يدفعه إلى

---

(١) فى الذقن، والصدر، والظهر، والذراعين والفخذين والرجلين.

التفكير، وتنقلب ذاكرته عن الاستيعاب إلى الخلق والإبداع، ويُصْبح نشيطاً مع الآخرين، ويَغْدو مطبوعاً فى خُلُقِه على السيطرة أكثر من الخضوع.

والملاحظ من هذا الاستقرار الذى تلقّاه الكاتب عن اختصاصيين، سواء بالقراءة والمطالعة، أو الاستفسار أنَّ هذه التحوُّلات (البلوغية) عند الذَّكَرَ يتواكبُ فيها التحولُ الجسمانى مع التحوُّل النفسى (الذهنى والعقلى)، والذى جرى العرف على تسميته بـ (الفسيولوجى».

وهناك حالتان يتأخَّر أو يتقدَّم فيهما التحوُّل الذهنى والعقلى عن التحوّل البدنى الجسمانى، فحيْثُ يتأثر الجسم بمؤثرات (بيولوجية) خاصة فينمو ويكبر، وتظهر فيه معالم الرُّجُولة، يَظَلَّ من حيث التحول (أو النموّ) النفسى قاصراً، تحت تأثير ضعف الغدد المهيأةُ لذلك، خَلْقاً وتكويناً[1]..، وهذا ما يُعرف بـ «المعوّق»..!

والحالة الأخرى يسْبق فيها النُّموُّ النفسىّ، أو يتفوَّق، على النموِّ الجسمانى، فيكون تفكيره ونضوجه العقلى أكبر من سنِّه.

وهاتان الحالتان موجودتان وواقعتان، لكنهما ليستا قاعدتين يُقاس عليْهما.

ثم يتابع الكاتب حديثه عن البلوغ عند الأنثى، فيقول:

البلوغ فى الأنثى:

فى الفتاة ـ ذات البنية الصحيحة[2] : يعتدل القوام، ويمتلئ الجسم نتيجة زيادة الطبقة الدهنيَّة التى تحت الجلد، فيكتسب الجسم بوجْه عام استدارة مليحة، وامتلاء مرغوباً فيه، وخلواً من الحُفَر والنتوءات المتعاقبة التى لا ترتاح العين لرؤيتها (كما فى المرضى بأدْواء مضنية طويلة المدى)[3].

وفَضْلاً عن ذلك يكتسب الجلد نعومته وصفاءه ونضارته المعهودة، ولا يقتصر دور الطبقة الدهنية على إحداث استدارةٍ لأجزاء الجسم، وستر ما يعتوره من حُفر

(١) أو لعامل وراثى ـ مثلاً.

(٢)، (٣) يعنى: المكتملة نضوجاً جسمانياً، ولم تتعرض لنوع من أنواع الأمراض فى مرحلة الطفولة التى تؤثر بشكل أو بآخر على ضعف النمو أو الإعاقة (كشلل الطفولة مثلاً).

أو نتوءات فقط، بل يتعداه إلى بعض المناطق الخاصة التى تحظى بنصيب وافر من الطبقة الدهنية لبُنْيانها، مثل: الثديْين اللذين يكبران ويستديران، ويتخذ كل منهما شكل نِصْف الكرة؛ وكذلك منطقة (جبل الزهرة)[١]، والإلْيتان والفخذان، وغير ذلك من مواضع خاصة.

وهيكلها العظمى يظل محافظاً على نحافته، ويتسع الحوْض متخذاً شكلاً مناسباً يتفق مع العمل الذى سيقوم به[٢]، وبعكس الرَّجُل تكون كتفاها أضيق من حوْضها، وساقاها منحنيتيْن وفخذاها قصيرتين وملتقصتين، أما عظامها فتعرُض قليلاً، وجبينها يظل ساقطاً.

ويتم نُموّ أعضاء التناسل الباطنة، مثل: الرَّحم والمبيض الذى يقوم عندئذ بعملية الإبياض السابقة عادة للطمث[٣].

وكذلك يتم نمو أعضاء التناسل الخارجية (الظاهرة) مثل الشَّفرين الكبيرين، إذ يتخذ كل منهما شكله وحجمه وقوامه وبنيانه، وموضعه فى البالغ.

وتتسع الحنجرة قليلاً[٤]، بينما يظل الصوْت صافياً ناعماً، ويظهر شعر فى منطقة جبل الزهرة، والشَّفرْين الكبيرين، والإبطين.

والهدف الأسمى الذى تسعى إليه كافة هذه التغيرات عند حواء هو اكتمال جمال المنظر، وحُسن البنيان، ورشاقة القوام، وبهاء الطلعة، ونعومة الملمس، ونضارة الأنوثة وقوّة جاذبيّتها.

*****

(١) ما تحت السرة إلى العانة.
(٢) يعنى: الحمْل والولادة.
(٣) الطمث: الحيض. وسيأتى الحديث عنه إن شاء الله.
(٤) قليلاً: إشارة إلى مدى اتساعها عند الذكر، بحيث يغلظ صوته ويخشن.

من البلوغ إلى المراهقة

مع اكتمال مرحلة البلوغ تبدأ فترة المراهقة لدى الذَّكر والأنثى، ذلك أنَّ الناحية العُضويَّة فى الكيانِ البدنى قد تكاملت ومن ثم يبدأ الإحْساس بالغريزة الجنسية؛ وهى معْقد البحث وفَحْواه ومحتواه ومن أجل التسلسل المنطقى فى الدراسة، والوصول بالبحث إلى غايته لابُدَّ أن نلْقى الضَوْء على المناطق الجسديَّة التى تكون مثاراً ومرتكزاً لهذا الإحساس الغريزى.

عزيزتى الفتاة المسلمة، بنتاً وأُخْتاً، وصديقة قارئة...

لئن قدِّر لنا ونحن نخوض فى البحْث أن نطرق أبْواباً معيَّنة، لها طابع القُدسيَّة والعفاف، فإن ذلك من المنهج العلمىَّ، لا نُريدُ إثارةً أوْ مساً..!

فنحن لا نكتب قصَّة من الأدَبْ (المكشوف) أو (العارى)،ولا نُقدِّم رواية أَوْ مسلسَلاً يفيض بصورَ الخلاعة والمجون، ولا نُذيعُ أغنية تنحطّ بها الكلمة، أو يتميَّعُ به الصَّوْت...، بل نعالج قضيَّة طالما عاشها الفتيان والفتيات وتحدث بها المتحدِّثون، وأثارها الكتاب والمفكرون..، محاولين أنْ نُعطى جُرعة دواء ناجع لمريضٍ يتلّوى من الألم، وقد يودى به...

لا نخدش الحياء ولا نَزْرى بالعفاف، مقدِّرين الجانب الإيمانىّ الروحىّ العلوىّ، مبتعدين إن شاء الله تعالى - عن كُلِّ إسفاف، فى الكلمة والمعنى والغرض.!

لا شَكَّ أن الدليل القاطع بأن الفتاة قد بلغت هُو (الحيض)، أو الدورة الشَّهريَّة[1]، ويرافق الحيض بعض التغيُّرات؛ مثل ظهور الشعر فى منطقة العانة وتحت الإبط (تحدَّثنا عن ذلكَ قَليلاً)، ونموّ الثديين. وبالرغم من كل هذا فإن ظهور الحيض ونزول الدَّم يأتى مفاجأةً للفتاة..

(١) من ألطف الكلمات تَهْذيباً فى شأن الحيض (الدورة الشَّهْرية) ما كُنْتُ أَسْمَعُهُ من الأقارب، فى مجتمعات الأسرة،، عن حدوث الحيض لدى إحداهن، القول بأنّها: منقطعة عن الصّلاة..! ولم أكن فى سنّ تَسْمَحُ بالفهم والإدراك، حتى عرفْتُ ذلك فى حينه، وعلقت بذهنى هذه العبارة اللطيفة المهذّبة.

وهنا يبرُزُ دور الأم..!

فنقول بأن تهيئة الفتاة ذهنياً ونفسياً وتوعيتها لهذه المتغيرات هام وضرورى جداً...، لأنَّها بمعْزلٍ عن كلّ هذا سوف تلجأ بالقطع إلى الرفيقات والصديقات...، وفيهن الصادقات والمنافقات، كما فيهن الخيِّرات والشريرات، تَستَفْسر عمّا ألمَّ بها وجرى لها، فبعْضهن - وهُنَّ قلائل - يصدقنها القوْل، فى أدَب وحياء، وأكثرهنَّ يتهامسن ثُمَّ يتغامزن، ثُم يثرْنَ فى السائلَةِ أحاسيسَ ومشاعر الجنْس، ويدغدغن عواطفها بالكلمة... والقرصة.. وغير ذلك.

أو تَلْجأ خفيةً إلى بَعْض الكُتُب (أوْ المجلات) الَّتى تُشْبع فُضُولها وتَدَغدغ غرائزها، تقرؤها فى سريرها على ضوء خافت...، ثُمَّ تمتدُّ يدها إلى بعض أماكن من جَسَدِها تتلَّمسها بإثارةٍ...، ومن ثمّ تدسُّ ما بيدها تحت وسادتها..، وتَسْرحُ مع خيالها...، ثم تغفو على أحلام يقظتها..

ومع مرور الأيام تزداد رغبةً، ويقظةً جنسيًّة تصْبح فى كيانها..، فتمارس العادَة السِّرِّية وقد تنحرف...!

وهنا مكمن الخطر وبؤْرتُه!!

وعلى نَفْس النّمط تصحُو الغريزة الجنسيًّة عند الفتى، مع سِنِّ البُلُوغ..، ولا تختلف الأساليبُ فى الاستجابة لديْه عن الفتاة إلاّ بحدود التغايُر بينهما فى التكوين العُضوىّ، وما أكثر ما يستجيب إلى العادة السِّريَّة ينَفِّس بها عن ثُبُوت الشهْوة عنده...!

وأخطر ما فى الحالة هذه وقوعه فى شبكة رفاق السُّوء، من هم فى مثل سِنِّه، أوْ أكبر..، حيث ينحرف - هُوَ أيْضاً - إلى البُعْد الشُّذوذىّ أحياناً.

وتلك - لعمْرى - قضيَّةُ القضايا فى تربية البنين والبنات.

ولا أريد أن أستغرق فى تصور أوْ وصف الحالات التى يتعرَّض لها أبناؤنا فى هذه المرحلة، خشية أن يُظَنُّ بى السُّوء، أو أُعطى فرصَةً سانحة لممارسة حُرِّيَّة الغريزة الطاغية، ومن حيْث لا أَقْصد.

المراهقة والنضوج الجنسى:

إن الفترة ما بَيْن المراهقة والنضوج الجنسى عند كلا العنصرين الذكر والأنثى هى فترة زمنيَّة فى مجرى حياة كلّ منهما تتميَّز بالتغيُّرات الجسمانية و(الفيزيولوجية) التى تتم تحْتَ ضغوطٍ اجتماعية معينة، تجعل لهذه المرحلة مظاهرها النفسية المتميزة وتساعد الظروف الثقافية فى بعض ثقافات الأمم على تمييز هذه المرحلة.

وإذا كان بعض الباحثين والدارسين يرون أنها (مرحلة منفصلة، عن مراحل العمر مفردة ومميزة)، تقع ما بَيْن مرحلة الطفولة ومرحلة البلوغ، من ناحية خصائص النموٍّ فيها، ومن ناحية المشاكل والصراعات التى تصاحبها (من داخل الذات وخارجها)، فإن البعض الآخر يُدْخل فيها فترة (مرحلة) المراهقة، السابقة للنضوج الجنسى.

غير أننا لا نستطيع الآن الفصل بين مرحلة الفتوًّة ومرحلة البلوغ، هذا الفصل التعسفى، كما أن الدراسات فى الثقافات المختلفة قد بيّنت أن هذه المرحلة لا تتميز بهذا الشكل إلاّ فى ثقافات معينة، وبيئاتٍ معينة.

التغيُّرات الجسمانية:

إن السرعة التى يتم بها النمو تُسبّب مشاكل للفتى نَفْسه، إذ لم تَعُدْ ملابس الطفولة تناسبه، أى أنه لم يَعُدْ طفلاً، كما أنَّه - فى نفس الوقت - لم يصبح رجُلاً.

ولعلَّ أقرب المجالات إلى الشخص التى يعرفها فى نفسه هى جِسْمُهُ..!

إذ يعرف طاقاته وقدراته الجسمانية، وما يتوقع من جسمه.

غير أن هذه التغيُّرات التى تعترى الشاب فى هذه المرحلة تسبب له الانزعاج، إذ يُحس بأنه يدخل عالماً جديداً يجهل حدوده، ويضطره إلى أن يتخلى عما يعرف، والانتقال إلى ما لا يعرف، مما يؤدى إلى القلق والخوف والصراع النفسى.

ومما يعقّد من مشاكل الفتى أن أجهزة جسمه لا تنمو بسرعة واحدة..! مما يؤدى إلى فقد الكثير من التوافق الحركى، ويبدو عدم الانسجام فى النمو فى

السرعة التى تنمو بها الذراعان والساقان عن بقية الجسم.

كما تظهر الأعراض الجنسية الثانوية..، لخشونة الصَّوْت الزائدة، أو النحافة، أو السِّمْنه، سواء فى البنين أو البنات.

كذا صغر حجم الثديين ـ أو ضخامتهما ـ فى البنات؛ وتسبب زيادة نمو الشَّعْر فى الجسم لدى بعض الفتيات مشاكل لهن، مما يسبب لهن التعاسة، إذ قد يتعدى نموُّ الشَّعْر المناطق المألوفة، فينتشر على الوجه، وحوْل حَلَمَتَىْ الثديين، وحول البطن، وأيضاً ظهور حَبٌّ الشباب عند البعض، ذكوراً وإناثاً.

وتعزى هذه الأعراض الثانوية إلى نشاط الغدد الجنسية ونضجها، وعلاقتها بغيرها من الغدد.

فالغدة النخامية ـ مثلاً تؤثر على الغدد التناسلية، وتؤدى إلى القيام بوظيفتها، كما تتحكم هذه الغَدَة فى النمو، وتحدّد الطول والوزن؛ كما قد تتسّبب أحياناً ـ فى قصورها وضعفها ـ إلى مرض طول العظام، أو العكس؛ أو اكتساب الذكور مظاهر الخنوثة، واكتساب الإناث مظاهر الرجولة.

أما الغُدَّة الدرقيَّة: فتتحكَّم فى السرعة التى يستهلك بها الجسم (الأكسجين)؛ وهى التى تتحكم (أيضاً) فى تنظيم دورة المحيض عند الإناث.

وتؤثر إفرازات القِشْرة فى الغدد فوق الكلوية فى الناحية الجنسية أيضاً، إذ تؤدى زيادة إفرازاتها إلى نزعة الذكورة ـ فى الذكور والإناث ـ؛ وكذلك العنة فى الذكور تتأثر بضعف إفرازاتها.

وتتصل الغدد الجنسية فى الذكور والإناث اتصالاِ مباشراً بالنموّ الجنسى، وهى المسؤولة عن كل التغيرات المصاحبة التى تميز النّوْعين.

المشاكل فى هذه المرحلة:

لعلَّ أهم المجالات التى يصادف فيها الفتى الشاب مشاكله، هى مجال النموّ الاجتماعى، والنموّ الانفعالى نظراً للتغيُّرات الشديدة التى يصادفها بالانتقال من مرحلة إلى مرحلة.

وتتلخص بما يلى:

(أ) يمكن النظر إلى مرحلة الفتوة كمرحلة تغيُّر فى انتمائية الفرد إلى الجماعة؛ إذ كان يُنظر إلى الفرد على أنَّه طفل، كما أنه إلى عهدٍ قريب كان يعتبر نفسه طفلاً، غير أنه لا يرغب - الآن - فى أن يكون طفلاً أو أن يعامل كطفل، وهو على استعداد لأن يُنتزع انتزاعاً من كل ما يمت إلى الطفولة بسبب، ليدخُل فى حياة الكبار، فهو لا يريد أن ينتمى لجماعة الصغار، ويريد الدخول فى كنف جماعةٍ أرقى وأعلى.

زادت أهميَّة الجماعة الجديدة فى نظره، كلما زادت أهمية التغيير الذى يمرُّ به.

(ب) ويتضمن هذا الانتقال من جماعة الأطفال إلى جماعة الكبار، الانتقال إلى عالمٍ جديد، غير معروف تماماً، ويمكن تشبيه ذلك بانتقال فردٍ جديد من (قريةٍ) إلى (مدينة).

ويعنى هذا الانتقال: من المألوف إلى غير المألوف، أى عدم الوضوح والغموض، فلا يعرف أى سلوكٍ يسلك، أو إذا كان سلوكه صائباً أم خاطئاً. !؟ أو إذا كان هذا السلوك يؤدى به إلى الهدف الصحيح أم لا؟.

وهذا ما يُعزى إلى اضطراب الفتى فى سلوكه، وعدم تأكده من صحة ما يقوم به.

(ج) وجسم الفرد من أهم المجالات أو المناطق التى تكون مألوفة له، فكل فرد يعرف جسمه جيَداً، وبالتالى يعرف إمكاناته؛ غير أن النمو الجسمانى الذى يمر به يجعله فى موقف يشعر فيه أن جسمه أيْضاً قد أَصْبَحَ غريباً عليه، إذ أن هناك خبرات جسمانية جنسية جديدة، لم تكن معروفة.

(د) ولما كان الانتقال من عالم إلى عالم، ومن جماعة إلى جماعة، ومن حياة إلى حياة، يعنى تخلخل الأسس القديمة التى لم يتشرَّب الفرد غيرها بعد لتحلٌ محلَّها، تُعتَبر مرحلة (المراهقة) مرحلة يكون فيها الفرد مَرِنا وعلى استعدادٍ للتشكيل.

وتخلخل القديم والاستعداد لتقبُّل الجديد يؤدى إلى ما نلاحظه من تطرُّف بَيْن الفتيان فى أرائهم، وتذبذُ بهم فى مُعْتقداتهم بين أقصى اليمين وأقصى اليسار، دُونَ حدٍ وسطىّ.

(هـ) ويميل الفتيان إلى الرحلات والسَّفر..!، كما يميلون إلى التعرُّف على واجباتهم وحقوقهم المدنية[1]، وتتفتَّح عقولهم ومشاعرهم للآراء السياسية ـ خاصةً المتطرف منها ـ كما يتطلَّعون إلى المستقبل المهنى والمركز الاجتماعى.

فيفكرون فيما سيكون عليه مستقبلهم فى العمل والزواج، والمكانة الاجتماعية.

ويُعْزى هذا إلى أن مجال الحياة الجديدة ـ غير المعروفة ـ يتضمَّن المجال الجغرافى والاجتماعى، فيحاولون اكتشافهما والتطلُّع إلى المستقْبل فيهما، لا فى حدود الأيام والأسابيع، ولكن فى حدود السنوات.

(و)وقد يكون انتقال الفتى من الطفولة إلى الشباب انتقالاً تدريجياً، كما قد يكون انتقالاً فجائياً وسريعاً، غير أن عالم الرجال غير عالم الأطفال، فهما عالمان منفصلان بكل معطياتهما.

وانتقال (المراهق) من عالم الأطفال إلى عالم الرجال تتخلَّله الصِّعاب، وأوّل الصّعوبات محاولات الكبار فى كَبْح جماح هذه الحركة، فتارةً يعاملونه كطفل، وتارةً أخرى كرَجُل، مما يجعله فى تذبْذُبٍ وتجاذب، ويؤثر على نفسيته، ويَتْرُكُه يقف عِنْد الحُدُودِ فترةً؛ وقد سمّاهُ علماء النفس الإجتماعى بـ «الرجل الهامشى» (Marginal Man)؛ وهو فى هذه الحالة غير متأكد إلى إنتمائيته.

ذلك ـ عزيزى القارئ ـ هو مُلخص ما يراهُ عُلماء النَّفَس والاجتماع، والدراسات المتخصصة، فى آراءٍ تتعلَّق بمَوْضوع المرحلة الانتقالية الصَّعْبه والحرجة لدىِ أبنائنا التى تَفْصل بَيْن الطَفولة والفُتُوة من ناحية وبَيْن الرجولة أو النُّضوج الجنسى من ناحيةٍ ثانية.

ولقد أَحَبْبتُ أَنْ أُوردها كما استخلصتُها واستخرجتُها مِنْ فِكْرهم، دُونما توجيهٍ منّى فى ناحيةٍ من النواحى، تاركاً لآرائهم (العلمية) و (العلمانية) أَنْ تَبْسط أمام

(١) والملاحظ أنهم يميلون إلى طلب الحقوق أكثر من الاعتراف والانصياع للواجبات.

عينيك وتحتَ ناظريك.

وما من شَكٍّ في أنَّ معظمها يَحْتمل الصواب، بحيْث لا يتعارض مع مفاهيمنا وعقيدتنا ومنهجنا السُّلوكي الإسلامي.

وهذا العرْض قائم كواقعٍ يحتاج إلى مراقبةٍ ومعالجة، لأنَّه يحمل في طيّاته تغيرّاتٍ أشْبَهُ بالعوارض المرضيَّة؛ لذا نْحن مطالَبُون بالوقاية أولاً والمعالجة ثانياً، لنحفظ أبناءنا وبناتنا من أخطار وانحرافات هذه المرحلة الدقيقة والحساسة.

*****

١ ـ من تجاربى..: جولة ربحتها!!؟

ولا أريدُ بالتجربة أن يفهم منها إلاّ مدلُول الواقعة، ومردودها، وكيْفيَّة المعالجة، لتكُونَ وسيلة من وسائل السلوك الواعى لدى المسؤول، سواء كان أباً أوْ كانت أماً، أوْ من يضطلع بمهمَّة التربية والتعليم، مدرِّساً أو مدرِّسة. . !

كُنْتُ فى أوائل السَّبْعينيّات أقومْ بمهمَّة التَدْريس الدِّينى فى إحْدى مدارس البنات (إعدادية وثانوية)؛ والمرحلة (الإعدادية) فى سنينها الأُولى ـ عادةً ـ تَضُمُّ من هنَّ فى سِنّ المراهقة. . . ، وعلى المدرس (أو المدرسة)، إلى جانب الضلوع فى المادَّة العِلميَّة، أن يكونا على مستوى جيِّد وراق فى أُسلوب التربية والتوجيه، بحيْث يستحوذان على القلْب والعقْل معاً، ويُصلان ما بيْنهما، ولا يكتفيان أبداً (بحشْوِ) الأدْمغة بالمادَّة العلميَّة المجرّدة، ويَظُنَّان بذلك أنَّهما قد أديا دَورهما وقسْطهما، ثُمّ تقاضيا أجْرهما. . ، بل يتحوَّلان حقيقة إلى راعيين بكل ما فى الكلمة من معنىً ومَضْمون، ليضمنَا الاستجابة الرَّوحيَّة، الَّتى تُسَهِّل عليهما مهمَّتهما، وهى مهمة شاقة صَعْبة، لا يعرفها إلاّ من يُكابدها.

كنت مُسْتغرقاً فى الشَّرح والبيان، لكنَّ حُضورى كانَ مؤثراً وواعياً لكُلِّ حركةٍ تصدر من هنا أو من هناك، فلاحظْت أن إحدى الفتيات ـ وكانت تجلسُ فى آخر مقعد من الفصل ـ تَسترق النَّظر إلى حِجْرها بين فترةٍ وأُخْرى؛ فأدركْتُ أن شيْنا ما يشدّها. . .

وكانَ من عادتى أنْ أتحرَّك ولا أثبت فى جهةٍ أوْ ركن، فَأُعْطى لما أقُول بَعْض الحيويَّة، وأجذب الانتباه؛ وأراقب عن كثب. . . ، فسعيْتُ نحوها على مَهْل دُون أنْ أُثيرها. . . ، حتى وصلْتُ، فحاولتْ مُرْتبكةً أن تُخْفى ما فى حِجْرها، وقد علت وَجْهها صُفرة شديدة. . . ، لكننى كُنْت قد أمْسكتُ بذلك الشّىء؛ كان كتاباً؛ ولكن أىّ كتاب؟

إنَّه قصَّة تَخْتلط فيها الإثارة بالبِذاءَة، بالصُّوَر الفاضحة. . . ؛

طَوَيْتُهُ..، ولم أُعلق بكلمة، وعُدْتُ أدْراجي..، وتابعْتُ الدَّرس كأن شيئا لم يحدث..،

والواقع أنني في تلْك اللَّحظات كُنْت على شفا حُفرةٍ من الثَّوْرة والانفجار، غير أنني تمالكتْ نَفْسي وكظمْتُ غَيْظي، وراعيْتُ الوضْع لأكثر من سبب.

ولقد شعرْتُ بأن جَوَّ الفصل كان قد تغيَّر، وأن الطَّالبات ينتظرن حدثاً..، فلم ألبِّ هذه الرغبة، وكيْف أفْعل ذلك وكل الملابسات غير مواتية؟

انْتهى الدرس، وَخرجتُ من الفصْل، وقد دسستُ الكتابَ في حقيبتي..!

وبعْد أن عُدْتُ إِلى منزلي خلوْت بنفسي، فاسترجعْتُ صفاءَ ذِهني وهدوء أَعْصابي، وفكَّرتُ في الواقعة، وأَحطْت بكُل جوانبها وأبعادها، واتخذت قراري:

أوَّلاً: أن لا أثير حديثاً مَعَ الفتاة كي لا أُسبِّب لها إِحراجاً، ولوْ كُنْتُ من جِنْسها لما تأخَّرت عن ذلك.

ثانياً: أن لا أَبْحث الموضوع بخصوصيَّتِه مع ناظرة المدرسة، ولكن أتناوله بشكلٍ عام، وبصورة عفويَّة وجانبيَّة.

ثالثاً: أنا أَعرِفُ أهْل الفتاةِ، ويعرفونني..، معرفة ثقةٍ وتبادُل احترام.

رابعاً: كان يسكن بجواري صديق عزيز، تربطه بأهْل الفتاةِ قرابة حميمة، وهو على جانبٍ كبيرٍ من التعقُّل والإدراك، فأخبرتُه بما كان، ثم تبادلنا الرأي، وأستكْتمتُه الحدث، وطلبتُ إليْه أنْ يتحدَّث إلى والدة الفتاة حديثاً عاماً يُشْعرها من خلالِهِ بمسؤليتها في المراقبة والملاحظة والتَّوْجيه...، دونَ أنْ يفصح عن شيء إطلاقاً.!

وتمَّ ذلك بِكُلِّ هُدوء؛ وفي غضون أيام قلائل.

ودخلْتُ الفصْل لِلْمرة الثَانية...، وقُمْتُ بأداءِ الدَّرْس كالعادة، غير مُهتمٍّ بالتوثُّب الذّهْنيّ الذي كُنْتُ أُطالِعهُ في عيُون الفتياتِ، ونظراتهنَّ المتلهِّفة...، وكأنَّهنَّ ينتظرْن مني رداً على تساؤلهن، أوْ إِشارةً - ولو عابرة - إلى الواقعة...،

ولم أفعل . . !

أما الفتاة (ب) فقد كُنْتُ اخطف النَظرة إليْها مروراً، شأنها شأن أى طالبةٍ فى الفصْل، ولقد لمحْتُ فى وَجْهها سكوناً بارداً أوَّل الأمر، ما لبث أنْ تحوَّل إلى اهْتمام عادى مع اقتراب نهاية الدرس، فأدركتُ أن الطمأنينة قد عاودتْها، وهذا ما كُنت أريده فِعْلاً . !

فلقد تأثرتْ بصَمْتى التام الكامل عن الموضوع، وشعرت بِاحْترامى لسُمْعتها ومكانتها بين زميلاتها، وارتاحت نفسها إلى ذلك وأقبلَت - كما لاحظت بعد ذلك - على التجاوب الكُلِّى وأقْصى درجات السُّلُوك الخلقىّ والعلمى طيلة العام الدراسىِّ، ولقد علمتُ من بعد ان الأم قد استوعبت الدَّرْس، فقامت بما يجب عليها .

وما من شَكّ أبدا فى أنّ الحادثة قد تركت - بعد وقوعها - بيْن الطالبات الزميلات فى الفصّل نوْعاً من البلْبلة الفكريَّة والنفسية، وأنّهنَّ تحدثن هَمْساً ووشْوشةً فى المْوضُوع . . ، لكنهنَّ تَأثَّرْن إلى حدٍّ ما بموْقفى وتصرُّفى، فَجَنَحْنَ إلى السِّلم . . ، وأُجبْرن على الصَّمْت والتّناسى . . !

*****

٢ ـ من تجاربى...وجولة خسرتُها!!؟

إنها تجربة مريرة قاسية، عشتُها بنفسى ومن حولى من المقرّبين، ولا أعلّق الفشل الذريع فيها على مِشجَب الظُّروف، ولا أهرب من المواجهة الصريحة مع ذاتى. . . ، بل أقول ـ وبمنتهى الصراحة ـ أننى أتحمَّلُ القسط الأكبر من المسؤولية، ويكفينى منها الآن أن أُقدِّم العِبْرة لعلَّها تُنقذُ، أو تساعد فى الإنقاذ ـ أبناءنا وبناتنا قبل أن يدهمهم القِطارُ ثم يتركهم أشْلاء غير أحياء. . !

ومن غريب ما ألحظُهُ فى كتابة بعض الدارسين والدارسات، سواء فى كتابٍ أو مقالة، أنهم أكثر ما يتوجّهون فى مخاطباتهم، أو حديثهم، حولَ الفتاة فقطَ، وقليلاً ما يميلون إلى الكتابة عن الفتى، وذلك حين يتناولُون هذا الموضوع، بالْبحث والدرس والنَّقْد. . ؛ عِلماً بأنَّ كليْهما عُنْصرا الحياة والاستمرارية!

تُرى هل الخوف على الفتاة مِن السُّقوط فى الهاوية أشدُّ وْطأً. . ؟ لا أعتقد، ولا أتصورً حتى. . . ، فالفتى ـ رجل الغد ـ يحمل من مسؤولية المسْتقْبل ومُواجهة الصِّعاب ضِعفَ ما تتعرَّض لهُ الفتاة؛ فأولى بنا أن نُعْطى لكُل طَرفٍ حقَّه فى الرعاية والعِناية، كى تَسْتقيم كَفتا الميزان، وإلا شالَتْ إحداهما علَى حساب الأخرى، وضاع القسطاس!!

ومن حُسْنِ المصادفة أننى بينما كُنْت أكتَب هذه الدراسة طالعنى فى جريدة (الأهْرام) مقالانِ فى أسبوعين متتالين (٢١/ ٩ ـ ٢٨/ ٩/ ١٩٩٦) تحدث فيهما الكاتب الأديب الأستاذ: «عِزَّت السَّعْدنى» عن الموضوع نفسه ـ تقريباً ـ، ويعنوانين: (آباء وأمهات ولكن. . .) (هذا ما جناه أبى. . .)، وبأسلوبه الساحر الساحر، يضرب فى الصَّميم يستصرخ الضمائر، ويحاول أنْ يُوقظ النيام. . . ، حين يقدِّمَ نماذِج حيَّة من: الأمّ التى تخلَّت، والأب المشغول، والبنين والبنات الذين يخبطون فى بيْداءِ الحياة خبْط عشواء. . ،

يا ناس..!

يا آباء وأمهات!

يا مسؤولين!

يا مربّين!

أدركُوا الأسْرة..!

ولا أدرى إلى أى مدىً تستجيب الآذان الصُّمّ لهذا النداء الدّاوى... المحقّ.!؟

وليسمح لى الكاتب الأديب أن أنقل إلى القارئ الكريم بعْضاً مما جاء فى مقالِهِ الأخير؛ يقول الأستاذ «السَّعْدنى»:

(بحماس وحميَّة الصعايدة جاءَ صَوْتُه عبر سلك التليفون:

أنا «على زيدان» من «إسنا»... يا سيدى ليس الذنب ذنب أولادنا وبناتنا إذا انحرفوا عن الطريق، لقد اختفت القدْوة الحسنة من حياتنا..، المدرّس يدخّن أمام التلاميذ فى الفصل، فَلِمَ لا يدخّن التلاميذ هم الآخرون...، المعلمة تتبرّجً أمام التلميذات وكأنها ممثلة سينما أو مذيعة تليفزيون[1] وليس معلمة ومربّية للأجيال..، فلماذا لا تقلّدها البنات..، والجامع يعتلى منبره خطباء من العصور الوسطى، لا هَمٌ لهم إلا الويل والثبور وعظائم الأمور.. وجهنَّم وبئس المصير..، لا يتحدثون لغة عصرنا ولا يعيشون مشاكلنا ومتاعبنا، والأولاد ليس أمامهم غير الشوارع وأخلاق الشوارع وأفلام ومسلسلات الخلاعة والفجور فى التليفزيون).

(قالت لى أستاذة جامعية، لها عزبة فى (كفْر الشيخ): كل أولاد وبنات وشباب محافظات الساحل الشمالى كله، بداية من «بورسعيد» و «دمياط» و «العريش» و «رشيد» و «كفر الشيخ» يلتقطون إرسال محطة إسمها: [SIGM A]؛ وهى محطة تذيع حوالى الأرْبع والعشرين ساعة أفلاماً جنسيَّة فاضحة..، وأى تلفزيون عادى وبـ «إيريال» عادى جداً يستطيع أن يلتقط هناك هذه المحطة، وهى واضحة تماماً وكأنها القناة الأولى عندنا).

(وقالت لى فتاة صغيرة إسمها «شادية»: يا سيِّدى لقد ضاع الإيمان من قلوبنا

---

(١) تخضع المذيعة قبل ظهورها على الشاشة سواء كانت مقدمة برامج أو مذيعة أخبار إلى عمليَّة «ماكياج» وتسريح، ويتفنن بعض المصورين باللقطات التى تركز على نواحى الفتنة والجاذبية.

وانحرفت بوصلة حياتنا عن دائرة الدين...).

(وكتب إلىَّ اللواء متقاعد «محمد محمود صبرى» يقول:

نحن نعيش عَصر آباء وأمهات آخر زمن، اختلط الحابل بالنابل، الصبيان مع البنات، الشيْطان بينهم.

الولد يطلب البنت فى (التليفون، فى أى ساعةٍ من ساعات النهار أو الليل، ويرد عليه الأب؛ (فلانة) موجودة؟ أيوه موجودة؟

البنت تأخذ التلفون وتدخل حجرتها بعيداً عن الموجودين داخل البيت، وبالساعات..، وبالهمْس تتكلم، والشاطر يسمع..، حتى ولو كان على بعد خطوات.

وفى أنصاف الليالى أصحابها يكلمونها فى التليفون... و (بسلامتُه) الأب نائم، (شَقْيان)، شغلته يجيب الفلوس علشان بسلامتها وبسلامته أخوها يضيٌعانها يميناً وشمالاً على ملذّاتهما وسهراتهما فى (الديسكوهات)، والمطاعم الشهيرة، والبنت تسهر مع (صاحبها) لأنصاف الليالى ومعها أخوها و(صاحبته) شِلّة السوء.

والأب يُسأل الأم (هذا إن سأل): البنت فين؟

تردٌ عليه الأمّ: بتتفَسًّح مع أخيها..!

وبسلامتُه الأب (يَطمئن) ما دام أخوها معها.

الأولاد معهم مفتاح الشقّة يدخلونها وأهل البيت نائمون فى (العسل)، ولا يصحون إلاّ على مصيبة وندم، حيث لا ينفع الندم.

وتوجد نوعيّة من البنات (أولاد الأكابر اللّى معاهم فلوس كتير بالملايين) وهم ليسوا من رجال الأعمال، أو أصحاب المصانع، إنما من فئة المليونيرات الجُدد..، من وظائفهم (تطلع فى دماغهم) يَطلعُوا رِحلة مع الشلة لجنوب «سيناء» أو «الغردقة»، بنات مع صبيان، وينزلون فى أضخم الفنادق والقرى السياحيًة، ويسهرون حتى الصباح فى ديسكوهاتها، (راسهم براس السياح، وما فيش حد أحسن من حد، وكل واحد بفلوسُه؛ وعلى رأى المثل الأنجليزى: Easy come easy go.

هذا هو التحضُّر والانفتاح على المدنية فى أعيُن الشباب، والشاب المؤدَّب يُقال عنه إنه: مقفول، أوْ: «قفِل»!!!

ونوعية أخرى، صبيان وبنات، (تطلع فىَ دماغهم) يقضون إجازة نهاية الأسبوع: **week End** كما يقال فى (شاليه): بابى، أو «أونكل»، فى قريةٍ من قرى الساحل الشمالى، التى تحل مشكلة الإسكّان للذين ليس لهم مأوى لو طرحوها عليهم.

و(كفاية كِدَه) لأن المصائب و (البلاوى) كثيرة لا يكفيها مجلَّد، والسبب هو أب أوْ أمّ آخر زَمن، والتربية أوّلاً وأخيراً لهما. . ، للأب والأم قبل الأولاد).

(وكتبت إلى السيِّدة «سلوى أحمد شوقى» ـ مدرسة العلوم فى مدرسة «عباس العقاد» التجريبية لِلغات، تقول: أحدثُك عن آباء آخر الزمن. . ، من واقع عملى فى مدرسة لغات تجريبيَّة، تضم المستوى الابتدائى والإعدادى، أطفال صغار محتاجون إلى القدوة والتربية الحسنة والتنشئة الدينيَّة الصحيحة فقد رأينا العجب من الآباء والأمهات، وهناك ثلاث حالات أرى فيها من الغرابة ما ستندهش له:

الحالة الأولى: أب مسافر إلى الخارج، وزوجته لاهية عن أولادها، وابنهم ضعيف جداً فى جميع المواد، ويرجع الأب من السَّفر فيجد ابنه راسباً فى جميع المواد، ويحتاج إلى إعادة فى الدور الثانى. . ، وبدلاً من الاهتمام به ومراعاته، يهملونه، مرة ثانية، ويرسب رسوباً نهائياً، ولابْدّ أن يعيد العام الدراسى، ونفاجأ بحضور الأب مهدِّداً متوعداً، بمنتهى الوقاحة، بأنه لابُد أنِ ينجح ابنه بأى طريقة. . ، وقد انتهى الامتحان واعتمدت النتيجة، فيساوم المدرسة ومعه ابنه، مهدداً مديرة المدرسة بأنه سوف يتهم أكبر عددٍ من المدرسين بأنهم غشّشوا فى اللجان كل التلاميذ ما عدا ابنه، الذى اضطهده جميع المدرّسين، وهذا سبب رسوبه.

ولما لم تستجب المدرسة ـ طبعاً ـ، يقوم بتقديم البلاغ إلى كل الجهات حتى يشفى حقده ويظن أن هذا هو حلُّ المشكلة.

الحالة الثانية: تلميذ فى الصف الأول (الإعدادى) يشرب السجاير فى جامع

المدرسة، وعندما استدعينا أُمَّه وأباه، فوجئنا بأمه تقول: أنها تُدخّن، وكذلك أبوه، وسنسمح له بالتدخين، وخطأه الوحيد أنّه يشرب من ورائنا، وسنشترى له السجائر، وهُو حُرّ..!

الحالة الثالثة: ابن قبطان بحرى، يسرق من خلف والده زجاجة خمر فاخرة، ويبيع كأس خمر لكل تلميذ راغب فى الحصة الأخيرة، والغريب أن التلاميذ اشتروا الكأس منه بجنيه واحد...!

وعندما نستدعى وليّ أمره يحضر ليقول: أنا مستعد لعمل أى شىء للمدرسة حتى تعتذروا له فى طابور المدرسة، يقول لنا: الخمر لا يحاسب عليها القانون، وأنا لا أرى أنه أخطأ إلاّ فى أخذه الخمر بدون علمى، وسأسمح له يشربها فى المنزل).

ثم يقول الأستاذ «السّعْدنى»:

(هذه هى بعض النماذج لآباء وأمهات ليسوا قدوة أخلاقية أو دينية لأولادهم، ولا يرون أى خطأ فى تصرفاتهم، بل يتسترون عليهم ويشجعونهم، وسوف يدفعُون ثمن أخطاء أبنائهم هم أولا، غالياً، حيثُ لا ينفع الندم أو الدموع).

وكان قد صَدر مقالته الثانية بهذا التساؤل:

(هل الخطأ هو خطؤنا نحن الآباء والأمهات...؟ أم أن هناك أسباباً كثيرة لانحراف بُوصلة أولادنا مسجّلة أعلى درجات الانحراف والسقوط..؟).

وأكتفى بما أوردتُهُ من كلام الأُستاذ «السعْدنى» رغَم كثرته ودسامته، ووفرة مادته، متَخذاً منه مدْخلاً إلى الحديث عن تجربتى الخاصة فى الجولة الخاسرة..!

وصاحب القصَّة أو محْورها أكثر من صديق وأقربُ من أخ، طوّحت به وبأسرته الأيام والأحْداث، فاستقرُّوا فى بلدٍ، واضطر هُوَ إلى العمل فى بلدٍ آخر، فكان يأتيهم مرتين أو ثلاثة فى العام الواحد، فتطول إقامتُهُ معهم فى الصَّيْف فقط؛ أما بقيَّة الزيارات فكانت الواحدة لا تزيد على الأسبوعين أو الثلاثة.

كانت أُسْرته تتكوَّن من زوجتِهِ وبناتِهِ، وصبى واحد.

وقُدِّر لزوجته أن ترعى البنات ضِمْن إمكاناتها، أما الصبىُّ فكان متمرّداً، عصبىَّ المزاج، يحسُّ بِالتفرُّد، ومهما حاولت الأمّ من ضَبْطِهِ وتوجيهه فكان يَنْفُر ويبتعد...،

ووقع الولد فى الْمصيدة...، فى عصْبة رفاق السُّوء...، مع بداية مرحلة المراهقة عنده...، وزادَه ذلك قلقاً واضطراباً فى نَفْسِيَّتِهِ، وكان والده يلحظ ذلك ويُحاول أنْ يشده إِليْه بمختلف الوسائل، تَرْغيباً وترهيباً...،ولكن من غير طائل.

حمله معه ذات مرَّة إلى حيْث يَعْمل، وأدْخله إحدى المدارس المهنيَّة، فوقع الأب بَيْن نارين، نار عَمَلِه، ونار مُتابعة الولد فى المدرسة وخارجها...

وبحكم النَّشْأة والتفتُّح على رفاق السُّوء...، وَقَعَ الولد أيْضاً فى الْمصيدة من جديد، والتفت حوْله طائفة من (الأصحاب) ـ فى عُرْفِهِ ـ هُم أحطُّ النّاس أخلاقاً وسلُوكاً.

وحاول الأب من جديدِ أنْ يُبْعده عن ذلك، فَسَألنى: ما رأيُك فى إِبْعادِهِ مهاجراً إلى أى بلدِ يقْبل الهِجرة، لعلَّه فى هذا البُعْد عنِ الأهْل والوطن يكوُن نَفْسه، ويشق طريقاً جديداً يكون فيه نجاتهُ وفلاحه؟

وكان الولد فى ذلك الحين قد قارَبَ الثامنة عشرة من عمره، وكثيراً ما كان يحدّثُ أباهُ عن رَغْبتِهِ فى السَّفر إِلى الخارج، وقد زيَّن له ذلك أتْرابُهُ ممَّن كانوا أصْحابه..!

قُلْتُ: اسألْهُ..، فإنْ كان لا يزال راغباً فلا تُمانع..!

وتلْك كانت غَلْطتى، فى الجوْلة الخاسرة، لم أسْتوعب الموضوع، ولم أفكِّر فيه أو فى نتائجه، إنما دفعنى إلى ذلك حرقة الأب ويأسه، وعيونه التى سَحَّتْ بالدّموع.

وما أسْرع ما وافق (الولد)...، فى المضىِّ نحو المجهول..!

وجاءنى الأب بعد أشهر قلائل يحمل إلىَّ رسالة جاءته من (ولده)؛ يبكى فيها ويستصرخ ويعلن التَّوْبة والندم، ويتعهَّد بالاستقامة والطاعة، وو... إلخ.

قَرَأْتُها، ثم قلتُ: ما أنْتَ فاعل؟ قال: أَشِرْ علىَّ!

قُلْتُ: أرسل إليْه أن يعُود، لعلَّ الله تعالى يُصْلِحُ حاله، ويغيِّر أحْواله.

وكانت هذه المشورة غلطتى الثانية فى جولتى الخاسرة، دفعنى إليها ـ أيضاً ـ العاطِفَة المجرَّدة شفقةً على الأب المنكوب؛ ولَوْ أنَّنى لم أفْعل ذلك لكانَ أفْضل. . . ؛

أما (لوْ) هذه فإنها تفتح عمل الشيطان كما حدثنا سيدنا رسول الله ﷺ؛ فالقضاء والقَدَر أمْر فى الأزل، وقد كُتِبَ لكُلٍّ منا رزقه وأجَله، وشقىٌّ هو أمْ سعيد مُنْذُ تكوَّن جنيناً فى بطْن أمِّه.

وعاد الابن من رِحْلتِهِ (المغامرة) فى لهفةٍ وحسْرة.. ودموع..!

وحضرْتُ اللقاء، وكان مؤثراً جِداً، وظَنَنْتُ أنِّى قد أسْديْتُ معروفاً، وصنيعا لا يُنسى..!

وبعد أيام حزم الأبُ حقائبَهُ يريدُ أن يقضى إجازة الصيف إلى جانب عائلته، وسعِدَ بذلك الابن الذى طالتَ غيبتُهُ ـ ليس عن أمِّه وأخواته ـ بل عن شلَّة الأنَس التى كان يقضى معها الليالى الحمراء؛ وهذا ما أدركه الأب بعد وصوله، إذ كان رنين (الهاتف) لا ينقطع، سلامات... ومواعيد...، ثم لقاءات.. وسهر حتى الساعات الأولى من الصباح.

ولكى يتفادى الأبُ المسْكين فقدان أى شىء من حاجات البيْت على يد ولده؛ وبيْعها بأبخس الأثمان ليُنْفق بمنةً ويَسْرة .. سعياً وراء اللذّة..، فإنه كانُ يُعطى الولد مبْلغاً معيناً من المال نفقةً يوميّةً...، ومع هذا لم يَسْلم البيْتُ ولا أهْله من نقصانٍ دائمٍ فى المال أوفى المتاع.

وكم كانت تحدث مشادات و(خناقات)...

إذا كان فى حالةٍ من الصَّحْو يسكت ويبكى ويتألم... ويندم؛ ويعلن التوبة.

وإذا كان فى حالةٍ من التّعاطى فهو كالنمر الشرس لا يقدر ولا يحترم..! وقد يحطِّم...

وكان الأبُ يرى فى ولده فشلاً ذريعاً فى النَّظريات، لا يطيق كتاباً.. ولا يهضم عِلْماً، وهو فى نفس الوقت جيِّد اليدين فى كثيرٍ فى الأعمال الحرفيّة، فقد

حاول الاشتغال فى أكثر من حِرفة، ولا أقول أتقنها؛ بل ألمَّ بمبادئها..، غير أن القلق النَفْسى والتخبُّط الذهنى كانا يجعلانه فِى حالةٍ من الشرود الدائم، لا يعرف طعماً للاستْقرار...

ولعلَّ بعض ٱلظروف العائلية التى عايشها صغيراً قد تغلغلت فى أعماقِهِ ثم نبتت شجرةً خبيثة اجتُثَّت من فوق الأرض فما لها من قرار.

هذا التصورُ عند الأب كان موجوداً ومعروفاً، لكنَّه كان يَخْضَعُ لمؤثرات العاطفة..، وهذا ما كان يُلجئه إلى الاستشارة والاستئناس برأى الآخرين، من معارفه وأصدقائه.

وجاءنى ذات يوم يقول: إنه قد قَرّر أن يُعطى الولد مبلغاً من المال ـ كرأس مال صغير ـ يبدأ به حياته العملية، ولقد زيَّن له الولد مَشْروعاً بسيطاً يدرّ ربحا وافراً، فى قريةٍ من القرى السياحية الممتدة على طول الشاطئ...، فما رأيْك؟

قُلتُ: اجعلْها تجْربةً أخيرة يا صاحبى...

وكانت هذه المشورة ـ أيْضاً ـ ضمن العوامل فى الجوْلة الخاسرة.

استدان الرجُل مبْلغاً من المال، وأعطاهُ إيَّاه، ثم ودَّعه... ودعا له، ولكنها كانت دعوة غير مقبولة، فما هى إلا أشهُر قلائل حتى تبين أن المال قد أنْفق بكامِلِه على الملذات واللهو والفجور، وعاد الإبن صِفر اليديْن أصفر اللَّوْن، قد أكلتْ فُتوَّته ليالى السَّهر...، كما ازْداد نهماً إلى المال الحرام بسبب التعاطى..!

ولقد تعرَّضِ لموقفيْن أمام دوائر الأمن، كان الثانى أشدهما وطأة وأكثرهما إيلاماً، عانى منهما الأب وأفراد الأسرة معاناة شديدة.

بعدها قَرّر الأب أن يحمله معه إلى بلدِهِ حيثُ يَعْمل، ظَنّا مِنْه أنه يُخرجه من أتون رفاق السوء وشلّة الأنس..!

وهناك حاولَ أن يلحقه بَعَملٍ، ليشغله ويكفى نفسه...، واستْمرَّ فترةً...، وقد نجح إلى حدّ ما، فقد كان ربُّ العمل صديقاً للأب، مُدركاً لظروف الابن، فاتخذه كولده..!

واضطرَّ الأبُ للذهاب حيث أسرته، فى إجازةٍ، فجاءَنى يَسْألنى: هَلْ يأخذه معه، أَمْ يتركُهُ فى عمله؟

قُلْتُ ـ ومن غير تردُّدٍ ـ: اتركْهُ فى عمله، فقد استغرقه ومَلَكَ عليْه نَفْسه وعقْله، ولا تحمله إلى حيْثُ توقظ الماضى السَّيِّء الذى خبا نوره فى قلْبه. . .، اتركه يا رجل. . !

وكانت هذه المشورة -أيضاً- عزيزى القارئ ـ ثالثة الأثافى فى جولْتى الخاسرة.

فما كاد الأبُ يُغادر، حتى كان الولد (الشاب) بعد أيامٍ رهين السّجْن، حيثُ ألْقى القبض عليه بتهمة التعاطى. . !

وعاد المسكين، وكان صبوراً جلداً، فيه إيمان وتَقْوى. . .، وعرفَ بالحادثة، وتحدَّث إليه المسؤولون، فآثر أن يتركه لِفَترةٍ لعلَّها تكونُ درْساً قاسياً، يُصفِّى نفس ولده من مؤثْراتِ الإدْمان.

وعرف الولد برجوع أَبيه، فأرسل إليه أكثر من مرَّةٍ يستعطفه ويستبكيه، ويلحُّ عليه باللقاء والخلاص.

فزاره حيث هُو، وكان اللقاءُ مؤثِّراً جداً، وحمل إليه معه بعض المأكولات والألبسة، وجلسا على انفراد يتحدثان ويتناجيان. . .، ولقد لاحظ الأبُ فى وجْه ولده صفاءً فى العينيْن اللتيْن كانتا من قبْل ذابلتين زائغتين، وسمنا فى البدن لم يعهده فيه من قبل، وأدْرك أن هذه الفترة ـ التى امتدت قرابة التسعة أشهُر ـ قد أفادت الولد فى جِسْمه وصحته لامتناعهِ عن الإدمان، واعتبرها كافيةً كفترة علاج. . .

وحين قص عليه الولد ما لقيه من تعذْيب وضرب ومهانة، وقد نبَّهوا عليه وحذروه أن يُبْلغ الأب بذلك، خشية أن تحدث أزمة بينهم وبين الأب الذى كان هو الآخر محلَّ محبَّة الناس واحترامهم وتعاطفهم و. . . نفوذ؛ أحسَّ الأب بالمرارة (حايلاقيها منين وإلا منين) قَرَّر أن يسعى لإخراج ولده، خصوصاً وأن الزبانية قد حوَّلُوا قضية الولد من التعاطى إلى الخيانة والجاسوسيَّة. .!! وهو أبعد ما يكون عن ذلك، نظراً إلى طفولته الفكرية رغم تجاوزه الخامسة والعشرين من عمره. . !

وكنت أعرف مجريات الأمور حدثاً بحدث، وواقعة بواقعة، يحدثنى بها الأبُ، وأنا أثنى على تصرُّفه، ولم يكنْ فى ذلك أدْنى خطأ.

ثم استطاع الأبُ خلال شهر ـ تقريباً ـ أن ينجو بولدِهِ من أيدى الظَّلمة، ويهيئ له مكان عَمَلٍ مأمون مضمون ـ مؤقتاً ـ ريثْما يدبر له عملاً خارج البلاد، يكون ثابتاً، وذا دخْلٍ جيِّد، لإبعاده عن كل الأجواء التى زادت نفسيَّته تعقيداً، ويأساً.

وحان موعد سفر الأب إلى أهْله، فحمل ولده معه، ليلقى أمَّه المسكينة وأخواته، ومن هناك اتصل بأصحابٍ له فى بلدٍ عربى، وشرح لهم الموقف، وطلب منهم المساعدة، وكانوا عند حسن الظن، فاستجابوا..!

وأمضيا فترة الإجازه ـ خمسة عشر يوماً ـ، كان الولد (الشاب) خلالها يقضى سهراته ولياليه مع أصحابِهِ، فقد عاد سيرته الأولى حيث بدا عليه الشحوب والهزال؛

ثم عادا سويَّة إلى موقع عمل الأب،

لكن الولد افترق عنْه فى الطريق، خائفاً من مواجهة الأهْل والناس...، وطلب من ابيه أنْ يتركه لِيومَيْن يلتقيانِ بعدها، فيأتيه بتذكرة السَّفَر ومصروفِهِ...، ولم يمانع الأب، وأعطاه ما يلزمه من نفقة، وتعانقا...

وكان هذا آخر عناق، وآخر لقاء.!

فقد أبْلغ الأب عن طريق الهاتف من احد اقسام الشُّرْطة بالخبر الفاجعة، إذ وُجد الابن ميتاً فى غرفته فى الفندق الذى نزل فيه وبيده حقنه..!!

وعرفت بالنبأ ...،فجئتُ إلى الاب مُواسياً وطلبتُ إليْه أن يُخفى السَّبب الحقيقى، ويتذرَّع بأى سببٍ آخر...، رحمةً بِهِ وبالولد أيْضاً..، وقد كان.

ولوْلا أنَّنِي أعْرِف مدى ما يتمتع به الاب من إيمانٍ وصبْر، لقُدِّر له أنْ يكون فى مصحةٍ نفسيةٍ.

وهنا لا أريد لخيال القارئ أن يجنح به أو يجمح، ويظنّ أنَّ القصَّة مبتكرة

مُفْتعلة من نسج الخيال، أبداً . . ، فهى حقيقيَّة بكل ظروفها ووقائعها، وقد اختصرت كثيراً من فصولها المأساوية.

موقع الأب:

أين موقع الأب في مِثْل ما تحدثنا عنه، سواء فى الجولة الرابحة أو الخاسرة؟ وما هى مسؤوليتُه؟ وكيْف يتعامل مع أبنائه وبناته فى سنِّ المراهقة التى هى من أخطر التحولات فى حياةِ كلٍّ منا؟

ما من شَكٍّ أبداً فى أن البيْت هو المدرسةُ الأولى، فيها يبدأ المشْى والنطق والوعْى، ومعرفةَ الأشياء بمسمّياتها وكذلك الأشخاص، ويستديم ذلك حتى سن الخامسة أو السادسة، مع الترقّى والتقدّم والاكتساب؛ وهذه المرحلة هى مرحلةُ التّأسيس (التربية الأولى)، وعلى الوالديْن فيها أنْ يكونا خَيْر قدوة للطّفل، فإن كان نزاعُ على أمْرٍ بينهما فبعيداً عن الطِّفل . . ، وكذلك النِّظام فى المواعيد، للطعام والنّوْم وغير ذلك، والنظافة فى كلّ شىْء . . . فى الملبس وحاجيات البيت وأثاثه، والمطبخ . . . ، وكذلك الحرْص على الكلمة فلا يتفوّهانِ - أو يعوّدان - الطفل على البذىء من الكلام والفاحش منه،

فبعض الأسر - مع الأسف الشديد - يعلمونَهُ الشتيمة، ويضحكونَ لها، ويقهقهون . . ، وقطعاً هو لا يدْرى معنى ما يقول، سوى أنَّ أبويْه يضحكان لِه، فَيزداد ويبالغ . . !

ثم يدخل الطفل المدرسة ويواجه مجتمعاً جديداً، لهُ تأثيرهُ وفاعليَّته، فى اكتساب المعرفة والعِلْم، وهناك يتأثر بعنصريْن اثنين: المدرّس أو المدرّسة، ثم الرِّفاق، ويتوزع شعور الطفل بيْن البيْت والمدرسة، فإن كان بينهما تكامل فى التوجيه والتربية أفْلح الولد ونجح، وإن كان بينهما تباين وافتراق، أحدهما يبنى والآخر يهدم، تبدأ عمليَّة الاضطراب والقلق تأخذ طريقها إلى نفسية الولد.

والولد والبنت فى هذا الأمر سيّان . . .

لكن المسؤوليَّة تتوزَّع بين الأب والأم، فالأبُ يأخذ على عاتقه الولد، وتأخذ الأمّ البنْت.

يجلس كُل منهما إلى من يرعاه ولو لفترةٍ محدودة من اليوْم، يَسأله ويحاوره ويطّلع على كُلّ أموره، ثم يوجهُه إلى الصَّواب، ويُبيّن له الخطأ وخطره، بأسْلوبٍ رقيق ناعم، فيه الموعظة والمثل...

وعلى الأب فى هذه المرحلة - من السابعة إلى العاشرة - أنْ يؤكد بصورةٍ عمليةٍ على الإيمان والعبادة فى نفس الطفل (الولد)، ويتعهَّد هذه الغرسة الطيبة بالرعاية الدائمة.

إذا قام إلى الصلاة - مثلاً - تركه يتوضَّأ قبله، ثم يتبعهُ..، وإذا وَقَف تجاه القبْلة، طلب إليه أن يُقيم، وقطعاً يفرح الولدُ بالإقامة إذ يشعر فى قرارةِ نَفْسِهِ بأنَّه عُنْصر مهم..! وإذا كانا أكثر من واحدٍ - متقاربين فى السنّ - غايَرَ بيْنهما فى الإقامة مرة بعد مرَّة..!

والتعوُّد على الصَّلاة فى مِثْل هذه السنّ المبكِّرة تُرسِّخها فى القلْب، وتجعلها جزْءاً هاماً من النظام اليومى فى حياة الفرْد، كما تنمو مفاهيمها مع نُمُوِّ العقل والقلْب معاً.

واصطحابُ الولد إلى المسْجد فى صلاة الجمعة والعيدين، والمناسبات...، تستأثر باهتمام الطفل إلى حدٍّ بعيد، فضْلاً عن المعانى والصُّور التى تُواجِهُه، ومؤثراتها على كيانِهِ.

ومَعَ إدراك الولد وبلوغه بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة، تبْدأ مُهِمَّة الأب بالازدياد ومسؤوليته بالتنامى.

إن الولد فى البيْتِ يخضع تلقائياً لأكثر من عيْنٍ تراقبه فى كل حركاته وتصرفاته، فى مأكله ومشربِهِ ولباسه، فى استحمامِهِ ونظافة بدنِهِ وجسمه، فى غرفتِهِ ومنامِهِ، فيما يَقْرأ أو يُشاهد على الشاشة الصغيرة.

ويستطيع الأبُ - أو الأم - بحسن الإدراك والتَّوجيه، تسديد خطواته، فيما يَنْفع وفيما يَضُرّ، من غير شِدَّة ولا قسوة، إلا حين الاضطرار إليها، وأَيْضاً من غير إيذاءٍ يُؤَدى إلى النّفور، والتطبُّع بطابع العِناد، أو الاختلاس...، وأعنى بالاختلاس ارتكاب الخطأ بعيداً عن أعيُن الرقابة، وهنا يكون الخطر أشد وأفتك،

لأنَّه يجمَّع فى ذاتِ الولد أكثر من خلةٍ فاسدة. . !

وكذلك شأن الفتاة. . !

فَنَحْنُ لا نَخُصّ بتوجيهنا هذا نَوْعاً معيناً؛ فكلُّهُم أولادُنا، بنون وبنات.

وفى غير البيْت!!؟

بيْن المدرسة، والشارع، والنادى. . . ، وأيْام الإجازات، والتقاء الرفاق. . !

كيْف يكون الأمْر؟ وكيْف نستطيع الضبط والرَّبط؟

ما من شَكٍّ - أبداً - أن البيْت هو الخليَّة الأُولى، ومن خلال التأسيس السليم والتوجيه القويم من الأب والأم معاً، نستطيع أن نضمن - إلى حدٍّ بعيدٍ - سلامة تصرف الفتى والفتاة خارج المنزل؛

كيْف؟

إن عُنصر الرفيق أو الصَديق هُوَ المحور فى هذا كُلّه. . . ، الذى يجلس معك على مقعدٍ واحدٍ فى الفصل، والذى يرافقك فى الطريق إلى المدرسة، والذى تَألفُه فى النادى، أو تقصد النادى من أجْل مزاولة النشاطات والألعاب معه، وكذلك الذى يَقْرع بابك يَوْم الإجازة لتخرجا سويا لقضاء وقْتِ الفراغ، لهْواً ولعباً وتسلية. . !

فلو أنَّ الأب - أو الأمّ - راعيا هذه النّقْطة الهامة فى حياة أولادهم لوفَّرا عليهم وعلى أنفسهم متاعب كثيرة، ودَرَءا عنْهم أخْطاراً مُميتة، قد تجرفهم فى تيارِ الانحرافِ والشذوذ، والضياع، ولات ساعة منْدم.

عزيزى الأب، وعزيزتى الأمّ...

يقول سيِّدُنا رسُول الله ﷺ:

«المرءُ على دين خَليلِه، فَلْيَنْظُر أَحَدُكم إلى مَن يُخالِل»(١).

يُقال - بأن الصَداقة المدرسية هى من أكثر الصداقات ديمومةً واستمراراً، وتأثيراً على الإنسان فى أخلاقه ومعاملاته، وهذا القول من خلال الواقع الملموس والمُعاش

---

(١) رواه مسلم وأبو داود.

فيه كثير منَ الحقيقة، لأن الطفولة والصبا هى من أعظم المراحل خطورة وأهمية فى حياة كلٍ منا، إذ تتكون على مداها ـ بالتّلاقُح والتأثر ـ معالم شخصيتنا المستقبلية.

فالطفل ـ الفتى ـ كالغصن الأملد الليِّن، يتأثّر بالعوامل الطبيعية، من أرضٍ (تُربةٍ) وهواءٍ وشمس، وغيرها من ضرورات النموّ.

فإذا ما كانت التُّربَةُ خصبةً جيدة، والشمس بدفئها وحرارتها معطاءَة كريمة، والهواء غير عاصفٍ ولا عاتٍ. . ، ويد الفلاح المزارع حانية واعية. . ، توفَّرت لِلْفسيلة كل الأسبابَ التى تمكنها من النموّ والازدهار والإثمار.

فإذا انعكس الحال، ساء المآل، وتبدَّدت الآمال.

وعليه فإن الطفل (الفتى، أو الفتاة) فى مَرْحلةِ التَّمْييز (البلوغ) لكى يعرف الخير من الشرّ بداهَةً، وفى أبْسط الصُّور، كما يعرف الصالح من الطالح، فى أوَّلِيَّاتٍ . . تحتاج ولا شَكّ إلى الأبويْن حاجة ضرورية لا غنى عنها.

نقول ذلك من غير استخفافٍ أو تقليل من شأن المراقبة الدائمة، ومن طَرْفٍ خَفِىّ، وَإِنْ غُذِى عقل الطفل وقلبه ووجدانه بالمقاييس والمعايير السليمة.

إن نصيحة النبى ﷺ لنا ـ كآباء وأبْناء ـ هى قاعدة القواعد فى اختيار الصَّديق والرفيق والصاحب، لأنها تُلْقى الضَّوْء الكشاف والنور الساطع على موضع الاختيار من بابه الواسع من باب العقيدة، إذْ يقول عليه الصلاة والسلام: [. . على دين. .]، فكأن النهج الحياتى كله، ومسيرة العُمْر، وِفْق المنهج الربّانى.

ولئن كان أسلوب حياة المرء (منهجه) فى جِدِه ولَهْوه هو المتأثر بالخليل، أو الصديق والصاحب، صالحاً كان أم فاسداً، فإنَ ذلك من خلال دوام التعامل والتأثُّر ينصَبُّ على كل ذات الإنسان، حتى لِيلجَ إلى أعماق فكره، ويستحوز عليه، فيهديه أو يُضلّه. . !

أَيُّها الأبناء الأحباب..

جانبوا ما استطعتم كل زميل أو زميلةٍ من الضالين والضالات، والمفسدين والمفسدات، الذين واللواتى ترون فيهم أو فيهِّن انحرافاً وَشُذُوذا. .

منذ الوهْلة الأُولى. . !

قد يزينون لكُم الغواية فى أمْرٍ من الأمور، فتستطيبون طَعمها، وتتلذّذون بها،

وتنزلقون من ثَمّ فى مُنحَدرٍ يبلُغُ بكم أسفل سافلين..،

احْذروا التجربة الأولى..، فإنها بابٌ صَعبُ غَلَقُه، وشَرٌّ يستحيل اتّقاؤه.

ثم عاشروا كُلّ طَيِّبٍ كريم، لا يحضكُم إلاّ على الخير، ولا يدلكم إلاّ على الصراط المستقيم.

يحكى أن رجُلاً أراد يَوْماً أن يُعطيِ ولده ـ بالدليل الحسِّيّ ـ البُرهان على سُوء الصاحب الفاسد، فأتى بصندوق تفاح، واستخرج منه ثمرة مهترئة، ورفعها بيده، وقال لولده: انظُر ماذا سيحلّ بالصندوق كله بعد أيام...!

ثم أعاد الثمرة (المهترئة) إلى مكانها بيْن زميلاتها..!

وبعد أيام قلائل اشتدّت رائحة الْعَفَن والعطب من الصندوق، فجاء الأب بابنه ورفع الغطاءَ أمامه، فإذا أكثر الثمرات قد فسدت، فقال: **هكذا يا بُنيّ العزيز يكون حال من يعاشر الأشرار.**

(كُنْت قد توقَّفْتُ عن الكتابة فى هذا الموضوع بسبب سَفَر اضطررْتُ إليه، وصادَفَ أنّى كُنْتُ فى زيارةٍ لأحَدِ المنازل زيارة عائلية، وصاحبُ الدار يمتّ بصلة القرابة الوطيدة منّيِ، وقد اشترك فيما يسمّى بـ (الأوربت)، وهو إرسال مُتَلْفَز، لهُ فوائده وله أخطَارُه؛ وذات ليْلة كان يُذاع على الهواء مباشرة برنامج لهُ أهميَّتُه وخطورته، إذ استَقْطب مذيع البرنامج إِختْصاصِيين فى عِلْم النفس والتربية، يبحثون ظاهِرة اللُّواط، كإنحراف وشذوذ، وآثارها المدمِّرة على الفرد والمجتمع..، وكان المذيع يتلقى على الهواء مباشرة استفساراتٍ هاتفيَّة، أوْ مناقشات..، وقد استهْوانى الموضوع وشَدَّنى إليْه..، فهو من صَميم ما أكتب فيه عن مرحلة المراهقة أوسِنّ المراهقة، لدى أطفالنا، فلذات أكبادنا، وأجيالنا الطالعة.

ولَفَتَ نظرى، بحساسيَّة وانفعال، إغفال صاحب البرنامج وضيوفه، حديث رسول الله «ﷺ»: **«علِّمُوا أوْلادكم الصَّلاة لِسَبْعٍ، و ضربوهم عَلَيْها لِعَشْرٍ، وَفرقوا بيْنَهُم فى المضاجع».**

وذلك على الرغم من الجولات الواسعة والعميقة ـ التى لا تُنْكر ـ تلْك التى خاضَها المتحدثُّون..، لكن أحَدَهم لم يأت على ذِكْر هذا الحديث الشريف، الذى

أراهُ ويراهُ معي كثيرٌ من إخواننا وأساتذتنا العُلماء، أعلى قمَّة وذرْوة فى التَّوجيه والتَّربية، ذلك أنَ كُلّ كلمة - بل كل حرف - فى هذا الحديث الشّريف لها مدلولاتها العميقة، وآمادها الواسعة فى الإحاطة بِموْضوع المراهقة..

وزاد استنكارى وتَعُجبِى من أصْحاب النّدوة حديثهم عن الطاقة الجنسيّة، فقد عَزُّوا أسْباب الانْحراف إلى ضرورة استفراغ هذه الطاقة الملحَّة، إذ قد لا يجد بعض الفتيان أو الشباب المجال الصحيح والسليم..، لأسباب ماديَّة أو اجتماعية أو اقتصادية مَثلاً...

لقد عرضُوا المشْكلة، دونَ أنْ يأتُوا على ذِكْر العلاج أوِ الوقاية..!

إنَّهُم أغفلُوا - عن قَصْدٍ أو غيْر قصد، باعْتبار حُسْن النوايا - حديث رسول الله ﷺ:

«يا مَعْشَرَ الشَّباب من استطاع منكم الباءَة[(١)] فليتزوَّج[(٢)]، ومن لم يَسْتطِعْ فعليْه بالصَّوْم فإنه لهُ وجاء»[(٣)].

ولست فى صَدَد شَرْح وبيان الحديث الشّريف، فى تَوجهاته كُلّها، إلا أنَّنى أتوقَّف عند كلمة الصوْم..، لأنها فى مدلولها الظاهر توُحى بالسَّلْبيَّة، أما فى المضمون فإنها تحمل كُلّ الإيجابيَّة، والإيجابيَّة المطْلقة، مِنْ حيْث كبْت هذه الطاقة والسَّيْطرة عليْها..

والصَّوْم إلى جانب الحقيقة المادية التى تلفُّه من حيْث الامْتناع عن الطعام والشَّراب، فإنَّ له أبْعاداً كثيرة غير ذلك، إنه امتناع عن كثيرٍ من التصرُّفات الخاصَّة والعامة التى تسىء إلى قُدْسيَّة هذه العبادة، وقد ورَد فى ذلك أحاديث كثيرة..!

وكان عجبى الأكبر والأشد - معِ الأسف البالغ - أنَّ أقطاب الندوة المتلفزة يحملون أسماء إسلاميَّة[(٤)]..، وها أنا ذا، بَعد عَوْدتى من سَفَرى - وقد تذَكَّرْتُ

(١) الباءَة: القدْرة المادية على أعباء وتكاليف الحياة والمعيشة.

(٢) فليتزوَّج: ولوفى سن مبكرة، فإنّه أغضّ لِلْبَصَر، وأحْصن للفَرْج.

(٣) الوجاء: الحماية والوقاية.

(٤) لعلَّهم من خلال علمانيَّتهم لا يَروْن فى كتاب الله تعالى وسنَّة نبيِّه ورسوله ﷺ ما يَحفزهم على الاستشهاد بآية كريمة أو حديث شريف يحقان الحقّ ويُبطلانِ الباطل، ويفصلان فى الأمْر فصلاً لا معقِّب له.

ما أنا بصَدَده من الكتابة، أعُاود البَحّث، راجياً من الله تعالى التوفيق والسَّداد).

وأيضاً أعود إلى الحديث الشريف؛ فالنبيُّ ﷺ يوجِّه خطابَهُ إلى الشَّباب: [يا معشر الشباب. .]، والشَّباب كما نعهد ونَعْلَم ذرْوة الحيويَّة والطاقة فى الكيان الإنسانى والبشرى، تضجُّ بيْن جوانحِهِ ثَورة الجِنْس ولابُدَّ مِنْ إطْفاء لَهيبها المتوقِّد بأفضل السُّبُل وأسْلم الطرق؛ بالزوَاج. . !

والزواج له متطلباتُه ومسؤولياتُه، وهى تختلف من حيث المراتب الاجتماعية والطبقيَّة، كما تختلف أيْضاً من عَصْر إلى عَصْرٍ، ومن زمن إلى زمن، فالشَىءُ الذى كان يُعتَبَر ترفُّهاً منذ عقودٍ قريبة من السنينِ، أصْبح فِى عَصْرنا ضرورةً لا غنىً عنه؛ فالأعباء الآن أكْثر والمسؤولية أكبر.

ومحمد بن عبد الله ـ صلوات الله وسلامهُ عليه ـ بما أوتيه من ربِّه سبُْحانَه وتعالى يُدرك كلَّ تلْك المتغيرات، ليس بجزْئياتها ـ فعِلْم ذلك عند الله ـ ولكن بمجملها وشُموليَتها. . ، ألَمْ يَقُلْ فى أكثر من حديثٍ شريف: [سيأتى على الناس زمان. .]؟!

ولقد زَوّج عليه الصلاة والسَّلام رجُلاً من المسلمين على مَهْر هُو خاتم من حديد. . ! وزَوّج آخر على ما يَحْمِلُهُ من القُرآن الكريم. . !

كانت الفِطريَّة والبساطة والبدائية هى طابَعُ العصر، مهما كان البدوىّ أو الحضرى من العرب ثَرِياً، كانت فراشهم من أدم حشوها ليف. . ! وكانت مائدتُهم الأرْض يَفْترشونها. . !

أما الآن، والفرْق الزمنى شاسع، فإنَّ المعالِمَ قد تغيَّرت وتَبدَّلَتْ، حتى فى أبسط صورها وأشكالها وأنْماطها.

فخِطابُهُ ـ صلوات الله وسلامُهُ عليه ـ للشَّباب ـ الذين يحثُهم فيه على الزواج ـ مشروط بقَوْله: [من اسْتطاع منْكم الباءَة. .] وهذه الاستطاعة وإن اختَلَفَتْ من حيث الضّروريات إلا أنّها من حَيْث المبْدأ مرتبطة بقوْلٍ آخر لرسول الله ﷺ بما معناه: «إنَّ أكثر الزواج بركةً أقلّه مؤُونةً. .».

وقول آخر: «يَسِّروا ولا تعسِّروا. .».

وقول ثالث هو الفَصْل، وفيه الحسْم: «إذا أتاكُم مَنْ ترضَوْن دينه وخُلُقَهُ فَزَوِّجوه، إلا تَفْعَلُوا تكُن فتنة فى الأرض وفساد كبير..»

لقد جَعَلَ - عليه الصلاة والسَّلام - من الزواج شركة تعاونية، تقوم على أساسٍ من الدين الصحيح، والخُلُق القويم، وليس شركةً استثمارية، أو رأسمالية استغلاليَّة..!

لماذا؟

كى لا تكون فِتْنة وفساد..!

وهَلْ هناك فِتنة وفساد أكبر وأعظم وأطَمّ مما نَحْن فيه الآن، من انحرافات وشذود، ومحرَّمات تهدِّد المجتمع فى كل وقتٍ وحين؛ وأىُّ انحراف أسْوأ من أنْ تعقد النَدوات المتلفَزَة على الهواء مباشرة لمعالجة مُشْكلة شذوذية هى اللُّواط..؟

إنَّ الزواج هو الباب الوحيد والسبيل السوىّ، والاتّصال الطبيعى بيْن ذكرٍ وأُنثى، وما عدا ذلك فانتهاك واضطراب واختلال للموازين!!

وتَعْقيده، وتَعْسيُره..، يؤدى حَتْماً إلى الوقوع فى المحظور..

ومن لم يَسْتطعْ..!

إذْ حالت ظروفُهُ المادية والاجتماعية دُونَه، فماذا يَفْعل؟ وكيف يتصرَّف؟ وأيْن يستفرغ هذه الطاقة الملحّة؟

قبْل أنْ نَستَرسلَ فى الحديث..، لا يفوتنا أنْ نُذكِّر بحديثه ﷺ - الذى مرَّ بنا آنفاً - «علّمُوا أولادَكم الصَّلاة لِسَبْع واضربوهم علَيها لِعَشر..»

أخى وأُخْتى؛ ابنى وابنتى - أعَزَّكُم الله وحفظكم من كُلّ سُوء.

إنَ الإسلام الذى نَدين بِهِ اعتقاداً وسلُوكا علمهُ فى التربية الإنسانية مَنهج مُتكامل، مُتَدرِّج، لا تشوبهُ شَائبة، وليس فيه أدْنى ثَغْرة، مهما كانَتْ طفيفةً أو ضيِّقة..

إنَّه يَبْدأُ مع الطِّفل مُنذ وَعْيه للأشياء والأشخاص والأحْداث، من سنٌ السابعَة..، يَبْدأ مَعَهُ فى الصَّلاة..، لأنها كما قال عنها البارى عَزَّ وَجلّ: ﴿إن

الصَّلاة تَنْهى عن الفحْشاءِ والمنْكر..﴾؛ فى آدابها والتزاماتها ومعانيها وتوجُّهاتها، بِكُلِّ حَرَكةٍ وسكنةٍ فيها، بكُلِّ كلمةٍ نتلوها، أوْ تَسبيحة نرددُها.

ولعلَّنا قَدْ أغفَلْنا أوْ غفلْنا عن مفهوم كلمته ﷺ: [عَلِّمُوا..]، فتعليم الأولاد الصلاة يمسُّ صميمها وحَقيقتها فى التَّكْبير والتَّوْحيد والخشوع والتّعبُّد، كى (يعلَم) و(يتعلَّم) الولد - أو البنت - أنهم لا يؤدُّون حركاتٍ.. أو يقرؤن آياتٍ.. ليس لها مَضْمون..!

نَعَم.. هُناك أداءٌ للصلاة وإسقاط للفريضة، وهُناك صلاةٌ يرتقى بها المصلّى إلى أعْلى علّيين، وصَدَق الرسول الكريم حيث يقول: «الصلاة معراج المؤْمن».

فإذا ما تعلم الطفل الصلاة كما ينبغى، وأداها كما يجب، نمت فى أعْماقه ووجدانه بذرة الخيْر، بكل فروعها وأزهارها وثمارها، خضرة بالغة، وأزاهير فواحة، وأثماراً ناضجة شهيَّة، و﴿مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أُكلها كل حينٍ بإذن ربِّها﴾، وانقَمأت نزعَةُ الشر، وانطفأت - إلى حَدّ كبير - جذْوتها، وخَمَدَ لهيبها؛ ولم يَعُد للقرين من شياطين الإنس والجن سلطانٌ عليْه.

وبين سن السابعة والعاشرة مرْحلة هامة، بحيْث يتأثر الكيان البشرى لعواملٍ مُهيئَة لمرحلة البلوغ والمراهقة، وهو الجانب العضوى فى هذا الكيان، ومن ثَمَّ تكون له مؤثراته على الناحية النفسيّة..

فإن لم يكن الطفل قد تلبَّس بالصَّلاة فهْماً وأداءً ومواظبة، منفرداً أو فى جماعة، وألفَها.. فأصبحت جزءاً هاماً من برنامجه اليومى، وذلك تحْت ظروفٍ وعواملَ معينة، كانَ لابُدَّ من إيقاظها بعد غفْوتها فى قلْبِه وحِسّه عن طريق المسّ البدَنى (العضُوى).

لذا قال عليه الصلاة والسلام : «واضربوهم عَلَيْها لِعَشْر..»..!

ولكن أىُّ ضَرْب؟؟

ليس ضَرباً يؤدّى إلى الإيذاء، أوْ رَدَّة الْفعْل، فهذا من أخْطر ما يكون، وليس هُوَ المقصود..، لقد ضَرَب رسول الله ﷺ، ولكن بماذا؟ ليس بعصاً غليظة، أو سوْط أو ما أشْبه ذلك..، بل بالسِّواك..، وما أدراك ما السِّواك!!

فقط هُو إِشارة إلى العُنصر المادِّى للحِسِّ البدَنىّ. . !

هُنا تتماذَجُ وتتوافق المكونات (الفسيولوجيَّة) فى الكيان البشرى، ومن ثَمَّ تتوازن، فلا تَطْغى ناحية على أُخرى. . ؛ وَصَدَق رَسولُ الله ﷺ حَيْث يقول: «.. وإن لبدنكَ عليْك حقا».

من خلال هذا التكوُّن والتخلُّق تكون النشأة السويَّة السليمة، ويكون الاستعْداد تاماً لِتلقّى الأمْر بالصَّوْم لمن لم يَسْتطع الباءَة، وحرمه ذلك من الزواج لفترةٍ، تطول أو تقصر.

والصَّوْم المأمور به علاجاً لهذه الحالة الطارئة، رمْز لرياضاتٍ أخرى من أَهَمِّها تفريغ الطاقة بالإجهاد البَدَنّى، سواء كان فَردياً أَمْ جماعياً.

ولقد كان مألوفاً ومَعْروفاً عند العرب فى جاهليَّتهم وإسْلامهم أَنْواع منَ الرِّياضة، النفسيَّة والبدنية؛ فالتَحنُّث والتحنُّف (الخلْوة النفسيَّة للتأمُّل) كانَ عادَةً يُمارسها بَعْضُهم، وكذلك الفروسية (ركوب الخيل) والسباحة، والرِّماية (بالحراب والسِّهام) والمصارعة.

وللرِّياضة بكل أشكالها وأنْماطها ـ فَضْلاً عن تأثيرها البدنِى ـ تأثيرها أيضاً على الشِّق النفسى فى الكيان البشرى، فالتعاونُ والتآلف من مظاهرها وانعكاساتها.

*****

التربية البدنية وأثرها

يقول الأستاذ «عدنان حسن صالح باحارث» فى كتابه القيم: [مسؤولية الأب المسلم فى تربية الولد فى مرحلة الطفولة][1]:

(إن كل نشاط مشروع يفيد الجسم ويقوّيه يُعد نشاطاً مستحباً ومطلوباً، فاللعب والرياضة بأنواعها المشروعة تصبّان فى هذا السبيل، وتعدان رافداً جيداً لتقوية البدن وصلابة العظام، وتنمية العضلات، فإن مقصود الجهاد والإعداد هو نفسه الغاية من الرياضة وممارستها، فإن الرماية والسباحة وركوب الخيل وسائل من وسائل الجهاد.

والأب يحرص على رعاية أولاده من هذه الناحية، ويوجّههم إلى أفْضل السُّبل المشروعة للاستفادة من طاقتهم الحيوية، وقدراتهم الجسمية بما يعود عليهم وعلى الأمة بالقوة والمنفعة.

ولا ينبغى تذرّع بعض الآباء بالخوف على أولادهم، فيمنعونهم من ممارسة النشاطات البدنية، فإن هذا الخوف يجعلهم اتكاليين، ضعيفى الإرادة والقدرة، كما أن تحقق هذا المطلب للآباء بعيد المنال، لأن الحركة عند الطفل غريزة قوية، ومن المستحيل التفكير فى الحدّ منها، أوَ كَبْتَها.

وقد راعت الشعوب والأقوام المختلفة حاجة الأطفال الصغار إلى اللّعب والحركة منذ أقْدم العصور، فهذه الحفريات تثبت أن (الفراعنة) كانت لديهم ألعاب للأطفال من طين، وفخّار، وخشب وغيرها؛ وعندما جاء الإسلام وظهر نوره فى المدينة المنورة، أقرَّ رسول الله ﷺ بعض أنواع النشاطات البدنية، كسباق الخيل، وكان يشرف بنفسه على ذلك (البخارى - ج٤، ص٣٨) ؛ وكان عليه الصلاة والسلام يقوم ببعض النشاطات البدنية الأخرى مع الأولاد [فكان يصف عبد الله وعبيد الله وكثيرا من بنى العباس ثم يقول: من سبَق إلىّ فله كذا وكذا، فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصَدْره، فيقبلهم ويلزمهم] (مسند الإمام أحمد - ج١، ص٢١٤) .

---

(١) نشر دار المجتمع للنشر والتوزيع - جدّة - (ص: ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣).

وهذا من أبلغ مانقل عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى إقرار الرياضة، وممارسة النشاطات البدنيّة المختلفة مع الأولاد .

ومن هنا تكون الرياضة واللعب جائزتين فى الإسلام، وتجوز ممارستها وتتأكد بالنسبة إلى الأطفال، لحاجتهم الطبيعية إلى الحركة .

ويعتبر من السهل نقل إجماع أكثر رجال التربية على أهمية اللعب والحركة ودورهما الهام فى تنمية قوى الطفل الجسمية والعقلية والخلقية والاجتماعية، ففى مجال التنمية الذهنية للطفل: أثبتت الأبحاث أن الأطفال الذين تكون لديهم الإمكانات والفرص للعب تنمو عقولهم نموا أكثر وأسرع من غيرهم، ممن لم تتح لهم هذه الفرص وتلك الإمكانات .

وفى مجال تنمية القوى الجسمية وتنشيطها فإن لعب الأطفال يكسبهم مهارات حر كية فالقفز والجرى والتسلق والتسابق، وغيرها من النشاطات الجسمية يكتسب منها الطفل قدرات حركية، إلى جانب أن اللعب يساهم مساهمة كبيرة ـ مع الغذاء ـ فى زيادة وزن الطفل وحجمه، ويساعد على نمو أجهزته الجسمية المختلفة.

أما فى الجانب الاجتماعى والخُلقى فإن ممارسة الطفل للعب وسط مجموعة من الأقران يساعده على التكيف الاجتماعى، وقبول آراء الجماعة، وإيثارها على النفس، والتخلص من الأنانية وحب الذات، إلى جانب ظهور القيادات بين الأولاد وتعلم أساليبها وطرق ممارستها .

كما أن المباريات المختلفة بين الأطفال تعتبر مجالا جيدا لصرف المشاعر العدوانية عندهم .

وممارسة الطفل للأدوار الاجتماعية المختلفة، كالأب، والأم (إن كانت أنثى)، والطبيب، والجندى، فى لعبة التمثيل ، يجعله يتقلب بين هذه الشخصيات المختلفة فيكتسب منها أدبا اجتماعيا فى كيفية التعامل مع هذه الفئات، والشخصيات الاجتماعية المختلفة .

ومن فوائد اللعب أيضا: أن يساعد الطفل على معرفة البيئة من حوله، فيكتشف أولا غرفته التى يعيش فيها، ومحتوياتها، ثم يتعرف على باقى غرف

البيت ومافيها من أثاث، ويتدرج فى ذلك ليخرج فيتعرف على مايحيط بالبيت من منازل وحدائق؛ وهكذا... فالطفل فى نمو مطرد ومستمر، وظاهر حركته: اللهو واللعب، ولكنه لعب مفيد يزيد فى معرفته ومعلوماته.

وقد أشار إلى أهمية اللعب الإمام «الغزالى» وتنبه إلى ذلك من جهة حث الولد على طلب العلم وعدم التنفير منه، فقال رحمه الله :

(وينبغى أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبًا جميلا يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لايتعب فى اللعب، فإن منع الصبى من اللعب وإرهاقه إلى التعليم دائما يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغض عليه العيش، حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأسا)[١] .

وهذه لفتة هامة من الإمام «الغزالى» تبين أثر اللعب فى النشاط الفكرى للولد، وأن فيه راحة للعقل من كثرة التلقى، كما أن فى إهماله إيذاء للولد وتضييقا عليه فى عيشه، ودفعا له لاتخاذ الحيلة غير المشروعة.

وقال (أيضا) رحمه الله حول أهمية الحركة والرياضة للولد:

(ويعود فى بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لايغلب عليه الكسل)[٢] .

وقال بعض الحكماء: (الخلق المعتدل والبنية المتناسبة دليل على قوة العقل وجودة الفطنة)[٣] .

ولقد أثبتت التجارب ما أشار إليه «الغزالى» من أن هناك علاقة بين حركة الجسم والعقل؟ (فالتمرينات العضلية التى تسبق العمل الفكرى تؤدى إلى تحسينه غالبا وزيادة نشاطه)[٤] .

كما أنها فى الجانب الآخر (تنمى كتلة العضلات وتزيد من قدرتها على

---

(١) إحياء علوم الدين (ج٣) (ص٧١) .
(٢) إحياء علوم الدين (ج٣) (ص٧٠) .
(٣) ابن الجوزي «الأذكياء» (ص٣٤) .
(٤) «رونيه أوبير» التربية العامة (ص٣٩٣) .

المقاومة، كما تزيد ضخامة العظام، وتيسر سرعة الحركات ورشاقتها)[1] .

ومما تقدم نخبر أن الرياضة البدنية ضرورية لإعداد الأفراد اللائقين بدنيا وعقليا واكتساب القامة المعتدلة، وإعطاء الجهاز الدورى والدورة الدموية كفاءة جيدة مع حماية الجسم من الأمراض؛ ولقد نص الميثاق الدولى للتربية البدنية والرياضية فى مادته الأولى على أن الرياضة حق أساسى للجميع، وأنه يجب توفير برامج للتربية البدنية والرياضية للأطفال،فى سن ماقبل المدرسة[2] .

وهذه أدلة كافية وواضحة على أهمية هذا الجانب فى حياة الولد، حيث يتحمل الأب المسؤولية الكبرى فى إعداد وتكوين الجو المناسب لابنه، لاستغلال طاقاته وقدراته الجسمية فى ممارسة الألعاب والنشاطات البدنية المختلفة التى تعود عليه بالنفع أ.هـ .

لقد أتينا بما فيه الكفاية من الشرح والبيان والأدلة على ما للرياضة والألعاب من تأثير قوى وجيد على تكوين البنية السليمة عضويا أو نفسيا للكائن البشرى فى مراحل حياته الأولى، مما يضمن إلى حد بعيد وقايته من الانحرافات والأمراض العضوية والنفسية، ويحميه من الوقوع فى بؤر الانحلال .

كما بينا ما للصلاة كعبادة تؤدى على وجهها الأكمل والأرفع من أثر طيب فى تهذيب نفس هذا الكائن، وهدايته، والارتقاء به عن وساوس الشيطان ، فتحميه وتحفظه من الفحشاء والمنكر .

ويجدر بنا بعد هذا أن نلقى الضوء على أمراض العصر، لنكون ـ أيضا على بينة منها، وتتضح أمام أبصارنا وبصائرنا السحيقة التى تردى فيها، ونشعر كآباء وأبناء بمسؤوليتنا المتزايدة أمام أخطارها، لنحمى مجتمعنا منها، ونحفظ على أمتنا أصالتها وخيريتها. .

علما بأن كثيرا من الحواجز والسدود تبين المجتمعات الإنسانية فى مختلف

(١) «رونيه أوبير» التربية العامة (ص٣٩١) .
(٢) محمد أحمد الحماحمى أصول اللعب والتربية الرياضية (ص ١٥٧، ١٥٨، ٢٤٨) .

بقاع العالم، رغم تميز بعضها عن بعض ـ منذ عقود قريبة ـ قد انهارت، وانساح الكل على الكل، وأصبحت الكرة الأرضية بفضل الابتكارات والمستحدثات والاختراعات قرية صغيرة .. ! ليس لها أبعاد ولا آماد ولا فواصل، ومن هنا يشتد الخطر، وتعظم المسؤولية .

*****

الانحرافات الجنسية
أسبابها وآثارها

[يعيش العالم (اليوم) حالة من الإثارة الجنسية العارمة، المنذرة بالهلاك والدمار العام، فلا يكاد الإنسان ينظر يمينه أو شماله إلا ويجد تلك الإثارة التى تدغدغ الرغبات الجنسية، فى الرجل والمرأة؛ وتلهب نار الشهوة فيهما، فالتلفاز والإذاعة والمجلة والجريدة.. كل هذه الوسائل تصب فى بحر الإغراء والتحريض على الفواحش، وحتى الإعلانات الدعائية للمنتجات الاستهلاكية المختلفة تحمل الصور الإغرائية، حتى الإعلانات لإطارات السيارات تجدها وقد صورت بجانبها امرأة شبه عارية !! فلا يكاد يوجد إعلان دعائى بدون امرأة عارية، أو شبه عارية [أبو الأعلى المودودى، (الحجاب) (ص٧٩)[1]] .

هذه الحقيقة السافرة الفاحشة الخطرة المخيفة كانت قد هزت مشاعرى وأحاسيسى، وأعماق وجدانى ذات يوم، فكتبت أصف المرأة اليوم بأنها: دُمْية العصر..!

قلت:

[حين كنت أقرأ السيرة النبوية الطاهرة، مرارا وتكرارا، كنت أتوقف فيما أتوقف عنده مع دمى «عائشة» ـ رضى الله عنها ـ، تلك التى حملتها معها إلى بيت النبوة، أو: (عرائسها)، كما قيل فى ذلك ، دلالة من الرواة على صغر سنها حين بنى بها رسول الله ﷺ .

فكنت أذكر طفولة البنات حين كن يصنعن من بعض قطع القماش أشكال دُمى و «عرائس»، ويبدو اهتمامهن بهذه الأشكال منصبا على ناحيتين: الشكل والموضوع، أما (الشكل) فمن ناحية الرأس حين يكسينه شعراً مختلفاً ألوانه، ويسرحنه تسريحات شتى، ويرسمن الفم باللون الأحمر، وكذلك الوجنتين.! ثم يخططن الحواجب بدقة واعتناء، ويجملن كل ذلك قدر استطاعتهن ومعرفتهن .

---

(١) (مسؤولية الأب المسلم) (عدنان حسن صالح با حارث) (ص٧٩) .

وأما من ناحية الموضوع فيتخذن لها مايشبه الفراش والدثار والوسادة، فإذا مللن اللعب، وضعن تلك الفراش في أحضانهن وربتن عليها بأيديهن تربيتا خفيفا، وكأنهن يساعدنها على النوم والإخلاد للراحة، بعد عناء المداعبة والملاعبة. ، ثم يضعنها فى فراشها وينصرفن عنها إلى أعمالهن .

وهذا . . . قبل أن تنتشر الدمى المتقنة الصنع، الجاهزة فى حوانيت الألعاب والتسلية، والتى تزداد مع مرور الزمن خبرة فى الإعداد، واكتمالا فى الإتقان. . ، إذ منها اليوم الضاحك والباكى، والناطق بكلمتى: (بابا، وماما) والسائر خطوات. . ، إلى آخر ماهنالك من ابتكارات واهتمامات وتطورات .

ومما هو جدير بالملاحظة فى هذا الشأن أن الفتاة التى تلهو بدميتها لا تكتفي لها بدمية واحدة، بل تتخذ أكثر من لباس، تضعها جميعا فى عُلبة أو غيرها، بترتيب وعناية، ثم إنها إذا أرادت أن (تغير) لدميتها ثوبها، فلا تنزع عنها ماتلبسها بحضور الحاضرين، بل تنحى بها جانبا. . ! وأيضا فإنها تتخذ لها أثوابًا داخلية شأن الأحياء!!

إذًا . . ، فالدمى، أو العرائس قديمة جدا، ومعروفة فى التاريخ، حتى من قبل (دمى) عائشة رضى الله عنها، استمرت قرونا وأجيالا، وما أظنها نبتت فكرة فى رأس إنسان إلا من خلال نضوج مفهوم الأمومة وما سميت «عرائس» إلا بحكم المنطق الحياتى الذى سوف تؤول إليه كل فتاة يوما ما، يوم تكون (عروسا) عند الزفاف .

لكن هذا المفهوم الحياتى الأصيل - فى الموضوع والشكل - فى غرس رسالة الأمومة، فى قلب الفتاة ووجدانها، منذ بدء الوعى والتفتح على الدنيا، وأشيائها ومسمياتها، ثم الاستعداد الذهنى والعقلى لمرحلة حتمية لهذه المهمة بالزواج، وإضفاء طابع من الجمال المصطنع لامتلاك قلب الزوج وعقله بالزينة وغيرها . .

هذا المفهوم كان يفقد من خلال الخط البيانى للإنسانية ذروة الصعود وبلوغ القمم أحيانا، فلا نراه إلا هابطا منحدرا، وذلك عندما يهمل (المحتوى الموضوعى)، ويغفل عن (الرسالة الأصلية)، ولا يرى فى الأنثى إلا جانب (الشكل. . .)!!

الجانب الذى يثير الغرائز الحيوانية، وجماع الشهوة، ويغطى بدخانه الأسود،

ولهيبه الأحمر، ضوء الحقيقة الإنسانية، وفضيلة الرسالة (الأمومة) .

ولسنا فى معرض الحديث المطول الشامل عن الأمم أو الفترات التاريخية والحقب الزمنية التى تدنى فيها الخط البيانى بالنسبة إلى فقدان التوازن فى النظر إلى كيان (المرأة) .

ويكفينا أن نعرض لواقع تاريخى واحد للتدليل على ذلك. .، فالقصر الرومانى، بالرغم من قانونه الشهير،وحضارته الرائعة ـ كما يدعى ويقال ـ. . ، رغم تبوئه فى التاريخ القديم ـ قبل الميلاد ـ مركز الصدارة بين الأمم القديمة (الفارسية، واليونانية ـ الإغريقية، وغيرها . . ،) قد وقع فى أحبولة اللذة، وشراك الشهوة، من حيث (زين) له الشيطان سوء عمله، فاتخذ من جسد المرأة تمثالا ومثالا!!!

تمثالا يعكف عليه ويجتذبه، وينحت أجزاءه الشكلية بدقة وعناية، (ويزينه) بكل براعة، حتى سمى هذا العمل (فنا) . . . زورا وبهتانا، وافتراءً !!

كما اتخذه (مثالا) فى واقع دنياه، ومناحى معاشه وحياته، فى عُرى. . وزينة وحلى. . . ؛ فى البيوت والقصور والأندية والملاعب، وكل مكان .

وتحضرنى قصة أسر «زنوبيا» ملكة «تدمر» فقد قيل إنها بعد محاربتها للرومان، ووقوعها فى الأسر، واقتيادها إلى (روما)؛ قيدوها بسلاسل ذهبية، من باب الإكرام لمقامها الملكى، هكذا تروى لنا كتب التاريخ .

غير أن الواقع المستخلص من الحادثة لايعدو حقيقة (الزينة). . !

فقد كانت زنوبيا على جانب عظيم من الجمال الفاتن، وكانت ترتدى إذ ذاك الزى الرومانى، الذى يكشف عن مفاتن الجسد أكثر مما يستر، فما زادها القيد الذهبى (هيبة مكانة) بقدر مازادها فتنة وإغراء؛ وأضحت بهذا التصرف (مثالا)، وهذا ما أراده الرومان، بحكم المفهوم المألوف، والعرف المتبع لا أكثر ولا أقل .

والعصر الذى نعيشة عصر أواخر القرن العشرين، بحضارته المادية، وتفوقه العلمى، نرى أن (الأنثى) ككيان إنسانى، نادراً ماتحظى فى الفكر العالمى عامة، بمختلف وسائله وأساليبه، فى الإعلام والنشر والتوجيه، بقسط من الاهتمام لحقيقة

دورها ورسالتها فى الحياة .

لقد أغفل (الموضوع) أو المحتوى، إلى حد كبير، وعكف على (الشكل). . ، إذ طمت دور الأزياء، وتعددت مصانع الزينة، وأنتجت مختلف الابتكارات وعمت البلوى . . !

وإنى لألحظ أحيانا مايقدم لـ «الأنثى» من غذاء فكرى وعقلى وعاطفى، من خلال المنشورات الدورية الخاصة بها ـ كما يقال ويعلن ـ فأجد أبواب الاهتمام بالشكل مثل ناحية الأناقة والزينة والرشاقة وغيرها، تغطى أكبر مساحة. . ، وقليلاً ما تستخلص الأنثى دسما، بل نجد أكثر المعروض سما ناقعًا .

ولقد راج مألوف(دمية العصر) عرفا وتقليداً، وسرى بحكم قصر المسافات، وسرعة المواصلات فى شتى أرجاء العالم، وإرسال الأقمار الصناعية، فما من مبتكر مستحدث إلا ونراه قد بلغ أقصى الأرض بسرعة البرق . . !

ومسخت (الدمية) أيضا فى صورة (وسيلة) من وسائل الإعلان لترويج أى بضاعة، ومطلق صنف من الأصناف ـ حتى ولو كان رباط حذاء ـ مستغلة الصورة من جوانب الإثارة الجنسية . . ، فتبدو فى ذلك محشورة حشراً من غير داعٍ ولا ضرورة، اللهم إلا دغدغة الغرائز. . ، وما عليك لملاحظة هذه الظاهرة سوى مشاهدة إعلان واحد فى التلفاز، أو الجرائد ، أو المجلات][1] ا ـ هـ .

ونعود إلى قراءة ماكتبه الأستاذ «عدنان حسن صالح با حارث»

[إن الناظر فى الشارع المسلم يجد هذا ـ أى الإثارة الجنسية ـ واضحا جليا لايخفى، بل حتى البلاد التى تقيد نساءها بالحجاب الموروث، المنبثق لبسه عن العادة الجارية، والتقليد الأعمى، ظهرت على أكثرهن علامات كرهه، والرغبة فى خلعه، والتخلص منه بالكليّة .

ويظهر ذلك فى النساء الكاسيات العاريات اللائى وضعن الحجاب ليزيدهن إغراء وغواية، فكثير منهن تبدى بعض شعرها تصففا بطريقة مغرية، وقد أبدت وجهها وعليه ألوان من المساحيق المختلفة، وربما لبس بعضهن (البنطلون) الضيق،

---

(١) فضل تربية البنات في الإسلام (للمؤلف) (ص: ١٢٧ ـ ١٣١) .

ومن وقت لآخر تكشف طرفا من عباءتها الرقيقة القصيرة ليظهر بعض ماتخفيه من الزينة الباطنة، إلى جانب استعمال الأحذية المرتفعة، التى يتطلب السير بها التكسر والتمايل أو تحدث هذه الكعوب أصواتا تلفت النظر إليها؛ وكذلك مايتطيبن به من عطور تنفذ إلى الأنوف من مسافات بعيدة..!!] .

والعجيب أن هذا يحدث بين ظهرانى المسلمين دون نكير، فلا يكاد نرى الرجل فى السوق ينهى النساء عن التبرج، أو الشباب عن التميع، والتهتك، إلا من بعض رجال الهيئات الرسمية، دون أن يكون لهم من رجال المجتمع معين أو مساعد ، بل ربما وجدوا منهم المثبط المنكر عليهم قيامهم بواجباتهم .

وقد ساقت كثرة الانحرافات الجنسية وشيوعها بعض البلاد المنتسبة إلى الإسلام إلى إباحة الزنا فى قوانينها، وتنظيم عملية البغاء، والسماح بفتح دور للدعارة المنظمة، إلى جانب الترخيص بفتح الملاهى والمراقص(تحت دعاوى الجذب السياحى) مما يسوق هذه الدول وحكوماتها إلى الكفر ووقوعها تحت قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[سورة المائدة الآية: ٤٤].

بل إن الفوضى الجنسية العارمة أدت إلى ظهور الشذوذ الجنسى، باكتفاء الرجال بالرجال، والنساء بالنساء ، مشكلة خطيرة تنذر بالانقراض، وانتشار أمراض جديدة ... لا علاج لها .

لهذا كان واجب الأب المسلم : أن يكون بابا قويا مغلقا فى وجه هذه الانحرافات واثقا بالله عز وجل، ومتعلقا بحبله المتين، وقد فرغ من قلبه اليأس والقنوط، ووضع نصب عينيه الأمل فى الإصلاح، وله فى رسول الله والأنبياء من قبله عليهم جميعا الصلاة والسلام، وفى مجددى الأمة وعلمائها القدوة فى نبذ اليأس، والسعى الجاد، وراء بصيصٍ من الأمل فى الإصلاح والتغيير، وفيما يلى نضع يد الأب على بعض أخطر المظاهر الجنسية المنحرفة وسبل علاجها فى ضوء الكتاب والسنة وفتاوى العلماء .

أولاً : مظاهر الانحرافات الجنسية :

(أ) اللواط والشذوذ الجنسى (وهى أخطر مظاهر مرحلة المراهقة، عند الفتى والفتاة، وقد تتعدى المرحلة لتكون من بعد سلوكا دائما ـ والعياذ بالله).

حكى الله عز وجل فى كتابه المنزل قصة قوم لوط ـ عليه السلام ـ الذين شاعت فيهم فاحشة اللواط، فقال تعالى مخبرا على نبيه «لوط» ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ. أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[1] .

ولما كانت هذه الفعلة من أعظم المعاصى والكبائر توجب غضب الرب ـ عز وجل ـ كان عقاب أصحابها من أفظع العقوبات وأشنعها.

فقد حكى سبحانه وتعالى كيف عاقبهم بعد أن عتوا واستكبروا ، فقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ . مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[2] فتنوع عقابهم بين الرمى من علو والرجم بالحجارة، وذلك لفظاعة جرمهم، وسوء فعلتهم .

ولم تكن هذه الفاحشة معروفة لدى العرب فى جاهليتهم، فقد قال الوليد بن عبد الملك ـ رحمه الله ـ : (لولا أن الله عز وجل قص علينا قصة قوم لوط فى القرآن ماظننت أن ذكراً يعلو ذكراً)[3] .

ورغم هذا فقد حذر الرسول، من هذه الفاحشة، وكأنه ألهم وقوعها فى الأمة، وابتلاء البعض بها حيث قال: [إن أخوف ما أخاف على أمتى عمل قوم لوط][4] .

وقال عليه الصلاة والسلام أيضا، مبينا أن هذه الفاحشة إن اجتمعت ببعض الجرائم الأخرى أوجبت الدمار للأمة والهلاك[5] .

«إذا استحلت أمتى ستا فعليهم الدمار: إذاظهر فيهم التلاعن، وشربوا الخمور، ولبسوا الحرير، واتخذوا القيان، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء»[6] . صدق رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة النمل الآيات: ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢) سورة هود الإيتان: ٨٢، ٨٣ .

(٣) البداية والنهاية (ابن كثير) ج٩ ص١٦٣ .

(٤) الترمذي جامع الصحيح حديث رقم ١٤٥٧ ج٤ ص٥٨ حسن غريب .

(٥) وما أمر (الإيدز) عن الواقع المعاصر ببعيد !!

(٦) الطبراني الأوسط ، . وحديث رقم ١٠٩٠ ج٢ ص٥٣ .

أى استغنى كل جنس بنوعه، فالذكر يقضى وطره مع الذكر، وكذلك الإناث.

وقال ﷺ فى حد اللوطى وعقابه:

«من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[1] .

وقد كان بعض السلف رضوان الله عليهم - يرى فى عقاب اللوطى أن يرمى من بناء مرتفع، ثم يرجم بالحجارة حتى الموت، دون النظر إذا ماكان محصنا أو غير محصن[2] .

وقد نقل عن أربعة من الخلفاء إحراق من تلبس بهذه الجريمة، وهم: «أبو بكر الصديق» و «على بن أبى طالب» و«وعبد الله بن الزبير» و «وهشام بن عبد الملك»[3] .

وقتل المفعول به، الراضى بالوطء، أفضل من استبقائه مع الجلد والتعزيز، وذلك لأن هذه الفعلة القبيحة تفسده فسادا كبيرا، فتزيل معانى الرجولة من نفسه، ويكون مصيدة للمنحرفين الشاذين، يقضون منه وطرهم فينافس بذلك النساء .

يقول ابن كثير - رحمه الله - واصفا أضرار اللواط :

(إن فى اللواط من المفاسد مايفوقه الحصر والتعداد، ولهذا تنوعت عقوبات فاعليه، ولأن يقتل المفعول به خير من أن يؤتى فى دبره، فإنه يفسد فسادا لا يرجى له بعده صلاح أبدا، إلا أن يشاء الله، ويذهب خبر المفعول به .

فعلى الرجل حفظ ولده فى حال صغره وبعد بلوغه، وأن يجنبه مخالطة هؤلاء الملاعين، الذين لعنهم الله ورسوله ﷺ[4] .

ولا تقتصر مضار هذه الفاحشة على الجانب النفسى فحسب، بل لها مضار جسيمة كثيرة، أقلها الابتلاء بمرض نقص المناعة (الإيدز)، ذلك المرض الفتاك الذى لم يجد له العالم دواء ناجعًا رغم السعى الحثيث ، والمحاولات الكثيرة ، والدعم المالى المستمر .

---

(١) الحاكم في المستدرك ج٤ ص٣٥٥ صحيح الإسناد .

(٢) ابن أبي شيبة المصنف في الأحاديث والآثار ج٩ ص٥٢٩، ٥٣٠ .

(٣) الترغيب والترهيب للمنذري ج٣ ص٢٨٩ .

(٤) البداية والنهاية ج٩ ص١٦٢ .

ومشكلة اللواط اليوم لا تقتصر على وجود أشخاص شاذين فى أنحاء متفرقة من العالم، بل قد أصبح لهؤلاء المنحرفين جمعيات رسمية تحميهم، وتنظم عملهم القبيح !!! ولا يقتصر نشاط هذه الجمعيات على البالغين فقط، بل أصبح إتيان الصبيان الصغار فى (أمريكا) أمراً معروفًا، له جمعيات خاصة؛ كما أن استخدام هؤلاء الصبيان فى الجنس، وتصويرهم فى مواقف جنسية شاذة، للتجارة بصورهم أصبح أيضا أمراً منظماً[١] .

ففى «نيويورك» بالولايات المتحدة الأمريكية يشتغل أكثر من ٢٠ ألف طفل فى أغراض جنسية بواسطة شركات الدعارة المنظمة، وهذا فقط خلال النصف الأخير من عام ١٩٧٧م[٢] .

وبعض التقديرات والإحصاءات ـ المعتدلة ـ تشير إلى أن ١٠٪ عشرة فى المائة من الأطفال فى أمريكا يتعرضون للاعتداء الجنسى فى كل عام[٣] .

وفى بريطانيا ـ التى أباحت قوانينها اللواط ـ يوجد مايقارب من ستين ألف غلام يمارسون هذه الفاحشة من أجل كسب المال[٤] .

وفى ألمانيا أبيحت هذه الفاحشة أيضا، ولكن بشرط رضا الطرفين وفى حالة صغر المفعول به يكون الرضا بيد وليه[٥] .

إن القضية إذا انحصرت فى البالغين الذين اختاروا لأنفسهم هذا النهج المنحرف،عن طواعية ورضى، فهذا خطر عظيم أما أن تصل إلى غير المكلفين من الأطفال الأبرياء (المغرر بهم)، فيشربوا هذه الفاحشة منذ نعومة أظفارهم، فإن المسألة تكون بذلك أشد خطراً وفتكًا.

فما هو البناء النفسى الذى يكون عليه هؤلاء الأطفال إذا كبروا؟ وهل سوف يفوقون أساتذتهم فى هذا المجال المنحرف لعمق خبرتهم، وطول باعهم؟ وكيف سيواجه العالم هذه المشكلة فى المستقبل؟

---

(١) انظر: (الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها) محمد على البار ص ٤٧ ـ ٥٩ .

(٢) أمريكا كما رأيتها (محمد خليل الحسلاتي) ص١٤٩.

(٣) أمريكا كما رأيتها (محمد خليل الحسلاتى) ص١٦٦ .

(٤) عبد الحميد دياب، أحمد قرقوز (مع الطب في القرآن الكريم) ص١٧٨ .

(٥) الحجاب (أبو الأعلى المودودي) ص٨٢ .

إن إيراد مثل هذه الإحصائيات عن المجتمع الغربي لايعني أن المشكلة لاتخص المجتمع المسلم، فإن العالم اليوم يُعد قرية (صغيرة) واحدة، لعمق الصلات، والمصالح المشتركة، وسهولة المواصلات، (وتعدد) الاتـصالات بأنواعها، واختلاط المسلمين بغيرهم في البلاد الإسلامية ـ وغير الإسلامية، مما ينذر باحتمال انتشار مثل هذه الجرائم الشنيعة بين أوساط المسلمين .

ماذا على الأب ؟

على الأب أن يحذر على ولده من كل من لايخاف الله من الفساق، حتى وإن كان بعضهم من الأقرباء، أو الجيران، أو الأساتذة، فإن الإحصاءات في أمريكا تشير إلى أن أكثر الاعتداءات الجنسية على الأطفال تقع من أفراد يعرفونهم، مثل أستاذ المدرسة، أو طبيب العائلة، أو مستشار المخيم، فلا يترك الأب مجالا لخلوة الولد بأحد من هؤلاء، مهما كانت الظروف .

وربما يحدث الاعتداء الجنسي على الولد من قبل طفل هو أكبر منه سنا، فإن بعض الأطفال ينضجون جنسيا في مرحلة مبكرة، كما أنه بالإمكان قيام علاقات جنسية بين الأولاد قبل البلوغ .

لهذا فإن اختيار الأب لأصدقاء الولد ممن هم في سنه، أو أصغر سنًا يعد اختياراً حسنًا مأموناً، فلا يترك يصاحب الكبار من الصبيان، إلا أن يضمن أو يتأكد من استقامتهم، وحسن تربيتهم .

وينبه الأب للتقليل من خلوة الولد قبل سن البلوغ بغيره من الصبيان، ويعمل على أن يكون عددهم ثلاثة، أو يزيدون، وذلك للتقليل من احتمال غواية الشيطان لهم، فالشيطان أقرب للاثنين منه إلى الثلاثة .

ومن أعظم أسباب انتشار هذه الفاحشة، وجرأة أهلها: الميوعة والتخنث، الذي ابتلي به بعض الصبيان، ضمن مظاهر هذا التميع والانحلال: إطالة الولد لشعره متشبها بالنساء، ولبس البنطلون الضيق الواصف للبدن، أو لبس بعض الملابس الخاصة بالشاذين، وجر الذيول، والتكسر في المشية، والخضوع في الكلام، والتردد على الأماكن المشبوهة . . (وما أكثرها)!!

فإن ظهر على الولد شيء من هذه المظاهر المنحرفة، وجب على الأب الحذر من احتمال انحراف ولده، حتى وإن كان الولد يجهل قبح هذه القضايا؛ فإن المنحرفين ينتظرون رؤية شيء ما من هذه المظاهر لينقضوا على فريستهم بشتى الوسائل والحيل الماكرة (والمغريات).

ولابد للأب من تربية ولده الصغير على الرجولة، والخشونة، خاصة إذا كان الولد جميل المطلع، أبيض اللون، ممتلئ الجسم..، فيعوده الخشونة في المأكل والملبس، ويعوده الرياضة القوية (العنيفة) التي تبني جسمه وتخشن جلده.

ولا بد أن يعوده حلاقة رأسه إذا كان شعره سبب جماله، واقتداء بـ «عمر بن الخطاب» ـ رضى الله عنه ـ فى التعامل مع الرجل الجميل الذى افتتن به النساء[1]؛ ويعوده لبس الملابس والثياب الفضفاضة، وتغطية رأسه تشبهاً بالكبار والبالغين، ويحذره من إسبال الثوب مثل النساء، ولبس الذهب والحرير، فهو من علامات التخنث والميوعة، إلى جانب ذلك من المحرمات على الرجال.

وإن كان الأب من أهل الجاه والغنى فإن واجبه فى حفظ ولده آكد، لأن أولاد الأغنياء فى العادة مرفهون، ويظهر عليهم أثر النِّعْمة، من نعومة البدن، وصفاء اللون، وطيب الرائحة، وحسن ارتداء الثياب، فيكونون بذلك أرغب وأدعى لوقوعهم تحت أيدى المنحرفين.

لهذا فقد كان بعض العلماء يحذر من مجالسة أبناء الأسر المترفة.

يقول «الحسن بن ذكوان»:

«لاتجالسوا أبناء الأغنياء فإن لهم صوراً كصور النساء، وهم أشد فتنة من العذارى»[2].

كما أن احتمال وقوع الولد فريسة لأحد المنحرفين فى الأسر الغنية أكبر منه فى الأسر المتوسطة الحال أو الفقيرة، وذلك لأن الأسر الغنية ـ فى العادة ـ يشاركها فى المسكن خدم وعمال وأفراد، من غير الأسرة، يقومون على خدمتها ورعاية

(١) الفاروق «عمر بن الخطاب» ـ محمد رشيد رضا (ص:٤٢)
(٢) (المدخل) (ابن الحاج) (ج ٣) (ص ١١٥).

شؤونها؛ وعادة ينتمى هؤلاء الخدم إلى جنسيات مختلفة، وثقافات متنوعة، أو طبقات دون، ويظهر فيهم الجهل، وقلة الدين، فنادراً ما يكون من بينهم الصالح المستقيم.

إلى جانب أن أكثرهم من العزاب، أو المغتربين عن أهلهم - ذكوراً كانوا أم إناثاً - وأعظم من هذا أنهم مؤمنون على الأولاد، بل ربما كانوا مؤتمنين حتى على النساء والبنات، فلا يجد الأب غضاضة عندما يجد ولده جالساً يتحدث فى غرفة الخادم، ولا يأبه إذا خلا البيْت للخدم والأولاد، ولا شك أن مثل هذا الإهمال والتقصير من الأب يُعد مدْعاة لوقوع الفاحشة بالولد على حين غفلة من الأب، وربما استمر وقوع الفاحشة بالولد إلى فترة طويلة تحت طائلة الترغيب والترهيب، أو الإقناع، أو بأى وسيلة ماكرةٍ خبيثة، خاصة وأن الولد الذى لم يُعْن والده بتربيته يقلُّ فهمه للأمور، فلا يدرك الصواب من الخطأ.

ولا بأس أن يصارح الأب ولده الكبير بهذه الحقيقة إن احتاج إلى ذلك، خاصة إذا كان يعيش فى بلدٍ انتشر فيها هذه الفاحشة، فيحذره من الذهاب مع الغريب، أو أخذ الحلْوى منه، أو الركوب معه فى سيارته ليدله على بيتٍ من بيوت الحىّ، أو نحو ذلك.

ولا داعى أن يبين الأب لولده كل تفصيلات هذه الجريمة، بل يكفيه أن يبين أن هؤلاء المنحرفين يمكن أن يضروه ضرراً بالغاً، ويذهبوا به إلى غير رجعة.

وهذا البيان والتلميح عادة يكون مع الولد القليل (المحدود) الذكاء، الساذج التفكير؛ أما الولد الذكى فإنه يدرك هذه القضايا من خلال احتكاكه بالمجتمع، فإن هذه الأمور لا تخفى عادة.

ويمكن للأب تعريف أولاده بهذه الفاحشة، وتحذيرهم منها عن طريق عرض قصة سيدنا لوط عليه السلام - مع قومه؛ فيبين ويشرح القصة كما جاء بها القرآن الكريم، ثم يعلق عليها مشيراً إلى أن هذه الفاحشة موجودة فى كل مجتمع، حتى المجتمعات المسلمة، ويوضح أنه لابد من الحذر، والمحافظة على النفس والعرض من هؤلاء المنحرفين، وفى أساليبهم المختلفة التى يجتذبون بها الأولاد.

ولا بد للأب أن يسدّ حاجات أولاده ورغباتهم المختلفة، فلا يترك مجالاً لأحد يستغل حاجتهم إلى مال أو لعبةٍ، أو نزهةٍ، أو غير ذلك.

ومن وقت لآخر يحاول أن يتعرف على رغباتهم ومتطلباتهم، ويقوى صلته بهم، فلا يخفون عنه شيئاً مما يرغبون فيه، وهو لا يحرمهم من المباحات، حتى وإن كانت لا تناسب أعمارهم، كقيادة السيارة، أو الدراجة النارية، وذلك لأنها من أعظم وسائل المنحرفين لجذب الأولاد، والولد الكبير شغوف بذلك، فلا بأس أن يُشبع الأب رغبة ولده فى هذا المجال تحت إشرافه المباشر، تحسباً للسلبيات التى يمكن أن تحدث) ا ـ هـ.

ولا أزيد فى القول شيئاً عما نقلناه بحرفيته فى دراسة الأستاذ «عدنان حسن صالح باحارث»، فقد أفاض وزاد، وألمَّ بالموضوع من كل جوانبه ولكنى قد أضيف إضافة أراها استكمالاً للبحث، حتى لا يقتصر الأمر فى المراقبة والتوجيه على دور الأب وَحْده، فالأم أيضا يقع على عاتقها جزء كبير وهام من المسؤولية ذلك أنها هى المربى الأول، وهى محور البيت وركنه الأساسى، والأطفال (ذكوراً وإناثا) فى أسنانهم وأعمارهم الأولى إنما يكونون أقرب إلى الأم منهم إلى الأب، فهى ملجاهم وملاذُهم فى كثير من أمورهم واحتياجاتهم الخاصة والعامة وقد يصارحونها فى كل ذلك أكثر من مصارحتهم للأب، والسبب فى هذا الهيبة من الأب والعاطفة عند الأم.

وكلما كانت ناضجة واعية، على جانبٍ كبير من الدراية ـ ثقافة وتجربة وخبْرة، استطاعت أن تحْمى الأطفال ـ أطفالها ـ من الوقوع بين براثن الذئاب البشرية، وما من شَك ـ أبداً ـ فى أنَّ أسلوب القصة قبْل النَّوْم، بما فيها من عِبرة وموعظة، ترسّخ فى العقل الباطن المبادئ السليمة، والرؤى الصحيحة، والسلوك الواعى، وهى لا تحتاج فى كثير من الأحْيان إلى الأسلوب المباشر، الذى قد يؤدى إلى ردّة الفعْل بالفعْل، استكشافًا للْمجهول، وخوْضاً للتجربة.

أطفالنا والعادة السريَّة:

وكما فاض الأستاذ «عدنان» فى بَحْثِه القيِّم عن «اللواط»؛ كذلك استْشرف بعُمقٍ ظاهِرة العادة السريَّة لدى الأطفال.

وهى إنما سُميت «سرِيَّة» أوْ وُصِفَتْ بذلك، لأنها تُمارس فى حالاتها تحت هذا الطابع وهذا المعنى، بعيداً عن أعيُن الرُّقباء، لأن الشعور بالحرج يُلازمُ صاحبها، أو يحسُّ بأن اللَّذة الحسيَّة المنبثقة عنها خاصّة بِهِ، أوْ لأنَّ الْعَوْرة لا يُظهر بها على الملأ، أو غير ذلك.

يقول الأستاذ عدنان حسن صالح باحارث:

(العادة السِّرِّيّة هى ما يُسَمَّى فى عُرف الفقهاء بـ: الاستمْناء، وهو: العبث فى الأعضاء التناسلية بطريقةٍ منتظمة مستمرة، بغية استجلاب الشهوة، والاستمتاع (التَّلذّذ) بإخراجها.

وتنتهى هذه العملية عند البالغين بإنزال المنىّ، وعند الصِّغار بالاستمتاع فقط دون إنزالٍ لصِغر السِّن)

وحُكْمها فى الإسلام: التحريم، لقوله تعالى: ﴿ والَّذين هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ . إلاَّ علىٰ أزْواجِهِمْ أوْ ما ملَكتْ أيْمانُهُمْ فإنَّهُمْ غيْرُ ملُومين. فمنِ ابْتغىٰ وراءَ ذٰلك فأُولٰئك هُمُ الْعادُونَ ﴾[1].

يتعرَّف الولدُ على هذه العادة القبيحة الضَّارة بدنياً ونفسياً، عن طُرق عِدَّة منها: وقوع كتاب يتحدّث بدقَّة وتفصيل عن هذه القضية، فيتعلَّم كيفيتها ويمارسها؛ وطريق آخر تلْقائى حيْث يكتشف بنفسه لذَّة العَبَث بعضْوه؛ وطريق آخر يُعد أعْظم الطرق وأخطرها، وهو تعلُّم هذه العادة عن طريق رفقاء السُّوء من أولاد الأقرباء، أو الجيران، أو زملاء المدرسة، ممَّن حُرِمُوا حقَّهم ونصيبهم من التربية الإسلامية، والرعاية النفسية.

يقول الأستاذ أحمد عزت فى كتابه: (أصول علم النفس) ص٨٠.

فقد لوحظ أن أكثر الأطفال ممارسة للعادة السريَّة هم الأطفال المضطهدون، أو المهملون، أو المنبوذون، أو من لا يظفرون بما يصبون إليه من تقدير فى المدرسة أو ساحة اللعب.

---

(١) سورة المعارج الآيات (٢٩ ـ ٣١).

ففى بعض الأوقات ـ بعيدا عن نظر الكبار ـ يجتمع هؤلاء الأولاد، ويتناقلون معلومات حول الجنس (مهما كانت أولّية ومحدودة) ويتبادلون خبراتهم الشخصيَّة فى ممارسة العادة السرِّية، فيتعلَّم بعضهم من بعض هذه الممارسة القبيحة.

ربّما أدَّت خلوة اثنين منهم أو أكثر إلى أن يطأ أحدهما الآخر، فتغرس بذلك بذرة الانحراف، والشذوذ الجنسى فى قلبهما، فتكون بداية لانحرافات جنسية جديدة (أخطر وأفظع)؛ كما أن الخادم المنحرف يمكن أن يدلّ الولد على هذه العادة القبيحة ويمارسها معه، فيتعلَّمها، ويتعلّق بها).

فإذا عرَفْنا مَصْدر الخطر على أطفالنا، ومن أَيْنَ يتَأَتَى، كان علينا بالتالى الوقاية منه، ودَرْء المفسدة، حمايةً لهم من الوقوع فى مستنقع الرذيلة الذى يتنامى من سيئ إلى أسْوأ، كُلّما استمرً وتلازم.

إن حَلّ هذه المشكلة وحماية الطفل منها، ومن خوْض غمارها المؤلمة المظلمة، يكون ـ أوّل ما يكون ـ بتقوية صِلته بالله تعالى، وتذكيره برقابته عليه، وأنه ـ سبحانه ـ لا تخفى عليه خافية، وعلى الأب أن يعلّمه الحياء من الله، ومن الملائكة الذين لا يُفارقونه..!

ومن غير ترهيب مقيت، بل بترغيب مُحبَّب، يُنَمى فى نفسيَّة الطِّفل بذرة الإيمان، وصدق اليقين، وحُبّ الله تعالى. فى إقْبالٍ على الخيرْ ونَبْذ للشر والآثام، مع بيان حُسْن الجزاء فى الطّاعة والإخلاص.

ثانياً:

ويُضاف إلى هذا هجر رفقاء السُّوء، وقطع صلة الولد (الطفل بهم)، وتجنيبه إمكانيّة تكوين صداقاتٍ مشبوهة مع الأولاد المنحرفين، أو المهملين فى أُسرِهم، حتى وإن كانوا أصْغَر منه سِنّا، فبإمكانهم نقْل علومات حول هذه العادة، أو قضايا جنسيَّة أخرى، أو على الأقل يعلّمون الولد (الطفل) شتائم قبيحة متعلِّقة بالجنس وما أكثرها على الألسنة..!! تتردَّدُ على المسامع فى كلّ مكانٍ عام وخاص.

ونتساءَل: هل هى عُزْلة تامة للطفل عن أتْرابِهِ وتكوين الصداقات، فنحميه مِنْ ناحية ونُؤذيه من ناحيةٍ أخرى؟

كـــلاّ.

بل علينا بجدٍ وهمَّةٍ تكوين صداقاتٍ بديلة عن الصداقات المنحرفة، وصلاتٍ قوية بين أولادنا والأولاد من الأسر الملتزمة بمنهج الإسلام فى التربية، متخذين فى ذلك الوسائل المرغبة المختلفة.

ثالثاً:

يحمى الأب ولده (طفله) من الكتب والمجلات والنشرات (الطبية) التى تتحدث عن هذه القضية بأسلوبٍ غير تربوى، فتعرضها عرضاً يحببها إلى النَّفس، ويخفف ضغط تأنيب الضمير على ممارستها، ويُشغل وقته (يعوضه) بالقراءة المفيدة، والاطلاع الجيِّد، وارتياد المكتبات العامة النافعة.

يَطَّلع الأب على مكتبة طفله، دون تطفُّل مباشر، بل بطريقةٍ عَفْويَّة، أَوْ يَبْحث فى حقيبة كُتُبه، أو أدراجه، ليستخرج السيئ - إنْ كان - ويوجِّهه - كما سَبَقَ القوْل إلى المفيد الجيِّد؛ وكذلك تفعل الأم مع الطفل، فهى أقرب إليه؛ ذكراً كان أو أنثى؛ والمقصود هو الرقابة الدائمة، والرعاية المتواصلة، والتوجيه الدؤوب الذى لا يملُّ معه أحدُ الأبوين، فتِلك فَتْرة زمنيَّة محدودة، إن وُضِع فيها الأساس السليم، قام البناء قوياً شامخاً بعد ذلك، لا خوْف عليه، ولا ضيْر.

*****

الشاشة الصغيرة!! (التليفزيون)

إن من أخطر أدواء العصر تلك الشاشة الصغيرة التى تتربَّعُ فى سُلطةِ واقتدار داخل بيوتنا، والتى تَستحوذ على القلوب والعقول والمشاعر، وتَستَقْطع من عُمْر يومنا الساعات الطويلة، وتؤثر تأثيراً بعيداً فى حياتنا، خاصَّة أطْفالنا؛ والتى أصبحت ـ كما يُقال ـ ضرورة عصرية لا غنى عنها.

وخطورتها لا تكمن فى تقنيتها، ولكن بما تقدمه من برامج، ذلك أنَّ مُعْظمها ـ بلا استثناء ـ هابط القيمة خلقياً وأدبياً وتربوياً، وما حظٌ العلم والثقافة إلاّ النّزْر اليسير منها.

و هذا يجعل مهمَّتنا كآباءٍ وأمهات فى تربيه أطفالنا، وحمايتهم من الآثار الجنسية المدمِّرة، وهم فى سن المراهقة، أمْراً صَعْباً وبالغ التعْقيد، ذلك أن الخطر المحدق بهم لم يعد يكمن فى الشارع أو السوق، أو (السينما)، أو الملْهى، أو رفاق السُّوء فى النَّوادى.. بل دخل علينا بيوتنا، واقتحم علينا دخائلنا، وأصبح يشاركنا فى التكوين، وينافسنا على الولاء والانقياد.

إن زمن المشاهدة بالنسبة لأطفالنا أطول من أى زمن يمكن أن يقضيه هؤلاء فى نشاط منفرد آخر، وتدل الإحصائيات على أن هدا الزمن يتراوح ما بيْن ساعتين ونصفٍ وثلاث ساعاتٍ يومياً فى العادة، أما فى أيام الأجازات فهو يرتفع إلى أرْبع ساعات أو أكثر، وهذه النِّسب ـ بلا شَكٍ ـ عالية وكبيرة، خاصّة إذا عرفت طبيعة البرامج التى يشاهدونها، ومدى صلاحيتها لأعمارهم، وقدراتهم العقلية والذهنية، إلى جانب الأضرار البدنيَّة التى تترتَّب على الجلوس أمام هذه الشاشة، والتعرُّض للأشعة المنبعثة منها.

وقد يُصاب بعض الأطفال بما يشبه (الإدمان) فى مشاهدة برامج الشاشة الصغيرة، فلا يكاد أحدهم أن ينفك عنه، وهؤلاء ـ قطعاً ـ بحاجةٍ إلى الرعاية والعلاج، حيث دلّ البحث والاستقصاء على أن أكثر هؤلاء المدمنيْن من قليلى الذكاء، ومن الذين لا يشعرون بالاطمئنان والأمن، ومن الذين يجدون صعوبة فى تكوين علاقات مع أقْرانهم، فيجدون فى قرب هذا الجهاز شيئاً من الأمْن

والصُّحْبة.

ماهيَّة البرامج:

تنقسم البرامج إلى نوعين: فيما يتعلَّق بتصنيفِ الأعمار.

(أ) برامج تخص الكبار.

(ب) وبرامج تخص الصِّغار.

ونظراً لمشاركة الأطفال للكبار فى مشاهدة جميع برامجهم الخاصة ـ تقريباً ـ وذلك من جراء الفوضى التى نعيشها، فلابدّ من استعراض واقع برامج الكبار، وأثرها على المشاهد، خصوصاً وأنه قد لوحظ أن البرامج التى تسترعى انتباه الأطفال هى البرامج المعدَّة للكبار.

(أ) برامج الكبار:

تحتل البرامج المعدّة للكبار ـ والبالغين ـ المساحة الكبرى على الشاشة الصغيرة، حيث تتضمن المسلسلات التمثيلية، والمسرحيات، والمسابقات، والنشرات الإخبارية، والبرامج الرياضية، وغير ذلك من الفقرات؛ ولكن الملاحظ أن أكثر البرامج ـ إن لم تكُن كلها ـ لَمْ تنْطبع بطابع العقيدة، ولم تُراع فيها الآداب والمبادئ ـ الشرعية .

فالمتأمِّل لما تبثه الشاشة الصغيرة طوال ساعات إرسالها لا يتصوَّر أنه يعيش فى مجتمع دينُهُ الإسلام، وذلك لمغايرة معظم البرامج لمفاهيم الإسلام العامَّة؛ فالمحْور الذى تدور عليه القصص والروايات والمسرحيات والتمثيليات لا يزيد أن يكون علاقات غير مشروعة بين رجل وامرأة، أو بين شاب وفتاة، تُعطى فى القصة أو المسرحية شرعية وواقعية ليس لها في ميزان عقيدتنا ومنهج ديننا أي وزن أو قيمة ، ويتم كل ذلك فى جَوِّ (الفنّ) الذى يسبغ على كل شىء جمالاً وجاذبيَّة، مَهْمَا يكن فيه من الشرور والآثام.

ويكاد يُجمع المهتمون بهذا الجانب التربوىّ على أن مظاهر الحب.. والغرام.. والعشق بيْن الجنسين هى المحور الرئيسى والقاعدة الأساسيَّة التى تدور عليها أحداث ووقائع المسلسلات والمسرحيات التى تعْرضها الشاشة الصغيرة، إلى

جانب الدّعاية السيئة المعتمدة على إِظْهار الفِتْنة والإغراء.

وقد يقول قائل، أو يعترض معترض بأن هناك برامج دينيَّة متعددة ومتنوعة، يوميَّة وفى المناسبات..! فلماذا التجنى والافتئات.

والجواب من الواقع نفسه..؛ إذ أن مَحَلَّ هذه البرامج يأتى فى المرتبة الأخيرة من اهتمامات المسؤولين المباشرين للإعداد..، بحيث لا تتعدى مساحتها نسبة واحدٍ فى المائة من مجموع ساعات الإرسال، إلى جانب أن أوقات بثها غير مناسبة، وأكثر مسلسلاتها تتصف بالعُنف، إلى جانب ما فى هذه المسلسلات من المغالطة والمخالفة الواضحة للدِّين ومفاهيمه، وعلى سبيل المثال: ظهُور الممثلات أحياناً - بغير الحجاب الشرعى، وإن ظهَرْنَ فإنَّ المساحيق ووسائل الزينة (الماكياج) تكون طاغية باغية...، ودوران معظم القصص على وقوع الأبطال (أياً كانت منزلتهم التاريخية) فى العِشْق، مما يوحى بالدس المقصود من المؤلفين والكُتَّاب، بالإضافة إلى المخرجين وواضعى الحوار (السيناريو).

أما المحاضرات والندوات فهى قليلة وغير مركزة، وغير مشوقة أيْضاً..، وأكثرها يدور حول مفاهيم الإسلام العامة، وبعض الآداب والعلاقات الاجتماعية، وسَطْحية الأداء..، إلى جانب الاقتصار على شخصياتٍ إسلاميَّة مُعيَّنة دون التنويع، مما أدّى إلى انصراف المشاهدين ومللهم.

أما البرامج الأجنبية فمُعْظمها أمريكى، سواءً كانتْ مسلسلات أوْ أفْلاماً، فكلّها لا تخْضَعُ لخُلُقٍ أو فضيلة فيما تحويه أو تبثه أو تتمحور حوله، بل تحضُّ على الفحش والرذيلة، والعُنْف..، والانحراف..، وكُلّ فسادٍ.

ولا تسلنى عزيزى القارئ - عن (الجرىء والجميلة) وما أحْدثهُ هذا المسلسل من هزّةٍ فى نفوس النّاس، وزلزلةٍ فى وجدانهم، إذ استحْوذ بفجوره وتحلله خلالَ عَرْضِهِ على قِطاعٍ عريضٍ من المَجتمع، واستْقطع مِنْ حياتهم اليوميَّة جُزْءاً لَيس بالقليل ولا بالهيِّن..، وليس فقط أثناء عرض الحلقة على الشاشة الصغيرة..، بَلْ قَبْلها وبَعْدها، وفى متابعةِ مَوْضوعيَّةٍ، لعلَّها قد أفْرخت عند البعض مُحاكاة فى الأداء!!

ونَحْن بتسمية هذا المسلسل لا نعْنيه وحده، بَلْ نُعْطى النَّموذج، وَقِسْ على ذلك.

ومما لا شكَّ فيه أنَّ مشاهدة الأطفال ـ في سِنِّ المراهقة ـ لمِثْل هذه البرامج تثيرهُم جنسياً إثارةً شديدة عنيفة، وربُما دفعتهم لممارسة شكل أَوْ وَضْع أو حالة مِمَّا شاهدوه مع إحدى قريباتهم، أَوْ جاراتهم. . ، كما أن مشاهدتهم لشيء من خفايا وأسْرار علاقة الرجل بالمرأة يدفعهم إلى ممارسة ذلك مع أقرب بنتٍ إذا سمحت الفرصة، وربُمّا دفعتهم الإثارة ـ كذلك ـ إلى ممارسة العادة السريَّة، التى سبق الحديث عنها.

فإذا حدث شيءٌ من ذلك فإن كلا الأبوين هو المسؤول الأول عن هذه الجرائم قَبْل الطفل المراهق الذى لم يبلغ بعد سنَّ التكليف، إضافةً إلى المسؤولية الاجتماعيَّة التى تتعلَّق بعُنُق المسؤُول الذى اخْتارَ ثُمَّ صَرَّح بِالْعَرْض.

(ب) برامج الصِّغار :

تخصص محطات الإرسال على الشاشة الصغيرة في كل دول العالم ـ ومنها نحن ـ أوقاتاً لِبَثُّ برامج تخصُّ الأطفال، انطلاقاً من أن الأطفال يشكلون قاعدة عريضة من السكان إلى جانب الاهتمام بتوعيتهم، ونشر الثقافة والمعرفة بيْنهم.

ولو بحثنا ما هية هذه البرامج، وما تنطوى عليه لوجدناها في معظمها تتصف بـ: الترفيه والتسلية، دون الاهتمام إلى تعميق المفاهيم الدينيَّة والتربوية في نفوس الأطفال، مما يؤكده افتقار هذه المواد الإعلامية إلى جهازٍ إعلاميٍّ تربويٍ متخصص في شؤون الأطفال.

ويبدو أن القائمين على الأمْر قد علقُوا المهمَّة هذه على مشجب البيْت والمدرسة، وأزاحوا عن كواهلهم عبء الإرشاد والتوجيه، مع معرفتهم ويقينهم بأنّ جهاز الشاشة الصغيرة له تأثيره الفائق، الذى يتجاوز البيت والمدرسة معاً. . !

ولو أنهم أحياناً يتخذون من برامج اللقاءات مع الأطفال مناسبة لحواراتٍ دينيةٍ تربوية، طابعها التكرار، أو العُموميات، دونما غوصٍ إلى نفسيَّة الطِّفل ومعالجتها، وترسيخ ما يُناسبها فيها من أصُول العقيدة والسُّلُوك.

بالإضافة إلى أن بعض البرامج المنتجة محلياً تستوحى روحها وفكرتها من البرامج الغربيَّة، لقصورٍ فى الرؤية، أوِ الاستفادة من شهرة ذلك البرنامج فى التشويق والإثارة عالمياً.

وعلى سبيل المثال برنامج (افْتح يا سِمْسِم» الذى يُعرض فى بعض الدول العربية، قد أخذ فكرته وأسلوبه من البرنامج الأمريكى: «سيسم استْريت»، وعلى الرغم من أنه إنتاج عربى، إلا أنَّهُ يخلو ـ تقريباً ـ من أهداف التربية الإسلامية، وتغلب عليه الأهداف التعليمية؛ والأخطر ما فيه أنه يُبْرز ويرسِّخ العادات والتقاليد الغربية.

أما النصيب الأكبر، والمساحة الإعلامية الأوسع، بالنسبة لبرامج الأطفال، فتخصُّ الصور أو الرسوم المتحركة، أو ما يسمّى بـ «أفلام الكرتون»؛ حيث تعرض بصورةٍ مستمرة فى أوقاتٍ منتظمة أثناء البث اليومىّ، دونما تقيُّد بوقْتٍ محددٍ معيَّن.

وقد اتصفت هذه الأفلام بحبْكة الإخْراج، وصفاء الصورة، ودقة الرسمٍ والتصوير، وروْعة الألْوان وجمالها، إلى جانب اختيار القصص المثيرة، التى تشدُّ خيال الطفل، مع استخدام الموسيقى التصويرية الجذابة، مما يستهوى الكبار ـ أحياناً ـ فضلاً عن الصغار.

ومعظم هذه الأفلام ـ بل كلها تقريباً ـ من إنتاج أجنبى، وتدور معظم أحداث قصصها ورواياتها حوْل عُنْصر الصراع والحرْب، والقتال، فتارة يكون بيْن القطِط والفئْران (ميكى ماوْس)، وأخرى بيْن المركبات الفضائية، وهكذا.

والصراع فى هذه الأفلام قائم بيْن الخير والشر، ولكن دون تحديد لطبيعة هذا الخير وحقيقته، وطبيعة هذا الشر وحقيقته، مما يميِّع القضية وحقيقة الصراع الحضارى فى نفس الطِّفل.

كما أن أفلام الفضاء، والأفلام الخيالية (العبثية) بما تحويه من الصراع العنيف، تحمل فى طياتها العقيدة الوثنية، إذ تعرض هذه القصص والروايات وأنواع الصراع بعيداً جداً عن الخالق ـ عزَّ وَجَلّ ـ وكأن الكوْن غير محكوم بنظام الله تعالى ومشيئته وقدرته، إلى جانب تركيزها على قضيّة وجود أعداءٍ وَهميِّين فى

هذا الكون، يُهددون البشر ـ من أهل الأرض ـ بالفناء والإبادة!!

وهذا النَّوْع من الخرافة المضلِّلة يفسد منهج التفكير عند الطفل، ويطبعه بطابع خياليٍ جامح، بعيداً عن نظريات العِلْم الصحيح السَّليم، إلى جانب لفت نظر الطفل وجذبه إلى الاعتقاد بوجود عدوٍ وهميٍ فى هذا الكَوْن غير الشيْطان المتمثِّل فى كُلِّ شَرّ وإفساد.

وبعض الأفلام (الكرتونية) تدور قصصها ورواياتها حوْل الحبِّ والغرام، والعشق والهيام، تماماً كما هو الحال بالنسبة لمسلسلات الكبار، حيْث تدور الأحداث فى هذه الأفلام ـ عادةً ـ على غراميّاتٍ بَيْن ذكرٍ وأنْثى، من بنى البشر... أو الحيوانات... أو الطيور... أو الحشرات...، مع الضم والشم، والقبلات الصّارخة..، وهذا فيه تحريك لشهْوة الطفل، وتحريض على الفاحشة، وتكوين علاقات الحُبّ والغرام مع القريبات من الإناث، وكأنه أمر عادىّ لا يَدْعُو إلى قَلَقٍ أو اهتمام، واحتشام.

إنه تحريض وتعليم سافر على الفَحْشاء، تترسَّخ مفاهيمه وأساليبُهُ فى أعماق وجدان أطفالنا ومشاعرهم.

ولا نشك لحظةً بأنّ مثْل هذه الأفلام بمضامينها قد أثَّرت بالفعْل على أطْفالنا، جعلتْهم نماذج متحركة وفْق رَغْبَةَ أصحاب الدَّس والفتنة، أولئك الذين يريدون هَدْم المجتمعات الفاضلة على رؤوس أصحابها.

والبعض الآخر من هذه الأفلام)(الرسوم والصُّوَر المتحركة) ـ الأجنبيّة ـ تظهر فيه علامة العُنْصُرية والتحيُّز، واضحة جليَّة.

فلا حق، ولا خير، ولا بطولة، ولا انتصار، إلاّ لأصحاب البَشْرة البيْضاء، والشعور الشَّقراء، والعيون الزرقاء...، بغَضٍّ النّظر عما إذا كانوا من البشر، أو الحيوانات.

أما الأشقياء المعاندون، الذين يمثِّلون بجانب الشرير، أصحاب الباطل، فهم دائماً فى صورة الملوَّنين، أصحاب البشْرة السَّوداء (أو السَّمْراء).

وعلى سبيل المثال شخصيَّة «بوباى» البحّار الأبْيض الخيِّر، الذى يوحى شكله

ولونُه، وعاداته وتصرفاته بالرجل (الغربى)؛ وصراعه المستمر دائماً مع خصمه الأسمر الشرير، ذى الشعر الأسود، واللِّحية السَّوْداء، الموحى شكله ولَوْنه بالرَّجُل الشرقى[1]، ثم يكون الانتصار المؤزَّر فى النهاية ـ نهاية الصراع ـ للأبيض «بوباى» على الأسْود ـ الأسمر، صاحب الباطل، ورافع لواء الشّر والإيذاء.

فعلينْا ـ معشر الآباء والأمهات ـ أن ندرك أن أمْثال هذه الأفلام (الكرتونية) ـ الرسوم والصُّوَر المتحركة ـ ليست مدْعاة تسْلية وجَذْب للأطفال، إنما لها أثرها البالغ فى نفوس أطفالنا وعلى عقولهم، وتعكس رغبة أصْحابها الإعلاميين كمؤلفين ومنتجين فى غَرْس مفاهيم معيَّنة، تهْدف إلى إفسادِ الأجْيال.

وقد دلَّت الأبحاثِ والدراسات على أن الشاشة الصغيرة تستطيع أن تؤثر فى سلوك الأطفال الاجتماعى واتجاهاتِهِم[2].

كما يقول أيضاً صاحب نفس المرجع.

ودلَّت الأبحاث أيضاً على ان أفلام (الكرتُون) أكثر الأفلام عنُفاً.



(١) العربى أو الأفريقى (المسلم).

(٢) (إيمى ليفر) التليفزيون للأطفال أكثر من محض تسلية (مجلة رسالة المعلم) العدد (٣) (ص٧٠).

الفيديو

الابن الشَرْعى للشاشة الصغيرة.

فهو من ناحية فكرتة، وطبيعة عمله التقنى، تابع للشاشة الصغيرة، وله التأثير الكبير على المشاهد، وهذا التأثير ناتج عن السرعة فى تناول المواد الإعلامية المختلفة، وأبلغ فى التحكُّم عند العرض والمشاهدة؛ لكنه يُعتبر أقل خطراً من الشاشة الصغيرة إذا وُجد فى بَيْتٍ يحرص أصحابُه على الفضيلة بكل صورها معانيها وأغراضها، أما إذا كان فى بَيْتٍ غير ذلك..، فإن هذا الجهاز أخطر بكثير من الشاشة الصغيرة حيث يستخدم فى مواد إعلامية مُنحرفة، كأفلام الجنس مثلاً التى تهدم الأخلاق والآداب.

والفرق واضح بَيْن الجهازيْن فى مسألة التحكُّم، بما يُعرض، ومتى يُعْرض.

ولقد أُجرى بَحْث ميدانى فى إحدى العواصم العربية حوْل معرفة أنواع البرامج والأفلام التى تُؤَجَّر أو تُسَجَّل أو تُشترى لعَرْضها بـ «الفيديو» ويميل إليها الأطفال، فوُجد أنَّهم ـ أى الأطفال ـ أكثر زبائن أفلام الرُّعب و «الكاراتيه»؛ أما أفْلام «الكرتون» ـ الصور والرسوم المتحركة ـ المخصصة لهم أصْلاً، والتى كانوا يقبلون علَيْها بشدة، قد قل اهتمامهم بها، واستبدلوا بها أفلام الكبار، والأعجب من ذلك أنهم لُوحظ لديهم ميلهم الشديد إلى مشاهدة الإعلانات التجارية، وإقبالهم على شراء أَشرطتها المسجَّله.

ولا يخفى السبب

فإن أى إعلان دعائىْ يعتَمِدُ فى دعايته على عُنصر الإثارة الجنسية..! والكذب المبالغ فيه عن نَوْعيَّة وثمن المعروض.

وكل ما تقدَّم مؤشر خطير..، إذ أن هذه الأنواع من موادٍّ «الفيديو» تَضُرُّ بالأطفال، ضرراً بالغاً، فأفلام الرُّعب قد يُحدثُ فيهم الصَّدمات، وردود فعلها النفسيَّة على سلوكهم، وكذلك أفلام «الكاراتيه» فإن أقَلَّ ما تُسبِّبه الميل إلى العنف فى التعامُل مع الناس، مطلق الناس؛ قريبين أو بعيدين.

واقعة لا أنساها:

تعوَّدْت فى فَصْل الصَّيْف أنْ أَسْهَرَ على الشُّرفة، إلى أن يحين موعد نَوْمى، ويكون جَوُّ الليل قد بات مُنعشاً بنسيمه الرقيق.

أُطِلُّ من الشُّرْفة على طريق عام يَفْصِلُ بيْن سكنى وبَيْنَ مَعْهد تابع للأزهر الشريف، قد بُنى منذ سنوات قليلة، ويحيط بالمعْهَد سورٌ عالٍ قد أُضيئت جوانبُه بمصابيح جميلة الشكل، تغطِّيها كُرات من الزجاج الشفّاف.

كما تعوّدْت خلال جلستى هذه أنْ أرى مجموعاتٍ من الأطفال يَلْعبون (الكُرة) حتى ساعاتٍ متأخِّرة من اللَّيْل. .، مع صياحٍ وأَصوات عالية، وشتائم صارخة فاضحة. .، حاولت مرة ومرّةً أن أخفِّف من حدّة صخبهم وإزعاجهم، ولكن على غير طائل، كما نالنى من بَعضهم كلمات نابية، ونظراتٍ حاقدة شريرة، فآثرْتُ السَّلامة. . وسكتُّ.

إنهم مجموعاتٌ من أولاد (أطفال) الجيران، أَعْمارُهُم بين الثَّانية عشرة إلى الخامسة عشرة، يتخيَّرون هذا المكان (الشارع) لقلة المرور عليه من السيارات، والأضواء التى تحيلُ ليله إلى نهار. .!

كُنْت أتساءل بَيْنى وبيْن نَفْسى: أَيْن آباءُ وأُمهات هؤلاء؟

كيْف يتركونهم حتى هذا الوقت المتأخر من اللَّيْل ولا يَسْألون عَنهُم؟

وكثيراً ما كان ينتهى لعبهم بـ (خناقة)، وكثيراً ما تقاذَفُوا بالحجارة والحصى، وكثيراً ما سَحَبَ بعضُهُم حِزامَهُ من وَسطِه لِيَضْرب آخر. .!

ولكن الواقعة التى شَدَّتْنى هذا الصَّيْف بالذات هى مرور مجموعاتٍ من الفتيان، تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والثامنة عشرة، كلٌّ يحمل بَيْن أصابعه سيجارة يدَخِّنُها بحِرفةٍ ولَذَّةٍ واستمتاع، يتوقَّفُون قليلاً ويتحادثُون، ثم يُتابعُونَ السَّير. .

وفجْأةً سمعْتُ صَوْتِ زُجاجٍ ينكسر وتنتشرِ شظاياه، فإذا بهم يتبادرون فيمن يكون له السَّبْقَ فى إصابة زجاج مصابيح السُّور الذى يُحيطُ بالمَعْهد. .، مع تقهقهات تَشقُّ سكون الليل.

ويَشْهَدُ الله أنَّهم كُلُّهُم رُماة. .، فما تركُوا مِصْباحاً واحداً سليماً.

قُلْتُ إنَّهُ ظَاهِرَة العُنْف والشَّر اللذين تَسَلَّلا إلى نُفوس ابنائنا، وسيطرتْ على

مشاعِرِهم وعقولهم نتيجة ما يُشاهدُونَّ ويتأثَرون بِهِ، ولا يُغرنَّك ـ عزيزى القارئ ـ أنْ ترى العدد العديد من الفتيان فى يوم الجُمعة. . .، يؤدون الصلاة فى المساجد، فإنهم هُمُ الذينَ رَأَيْتُهُم أنا فى المسجد القريب، وهُم الذين حَطَّمُوا زجاج مصابيح المعْهد. !

وبالإضافة إلى نزعة الشَر والعُنْف التى تتجلى واضحةً فى سلوك الأكثرية الساحقة من أبنائنا، هناك ظاهِرة التَّناقض، وهى أشد خطراً وأكثر فتْكاً. . !

فكيْف يتَّفق لمن يقف خاشعاً بَيْن يدى الله، يقرأ القرآن الكريم، أَوْ يَسْمع الخطبة أنْ يُدَمِّر ويحطم ويَشْتم ويحشِّش. . ؟

وعذرتُهُم. . !

ذلك أنَّ الخطبة يَوْمِ الجمعة فى أكثر المصلَّيات والمساجد قد فَقَدَتْ كثيراً من تأثيرها، فإما أن يعتلى المنبر مُبْتدئ، أَوْ جاهل، أَوْ عالم ملتزم بِحُدود مُعَّينة من المواضيع، قد حددت لهُ، أو حَدَّدها لِنَفسه، أو (داعية) ـ كما يَقُولون ـ شَتام سباب، إن تناول موضوعاً إِصلاحياً هادِفاً، فهو يتناوله من وجهة النظر السَّلبيَّة، أو فى مغالطةٍ دينية صريحة واضحة.

وفى الكلِّ بُعد وتناءٍ عَنْ مقْصد خطبة الجمعة. . !

فكيُف يَتَأَتى لمثل هؤلاء الفِتْيان أن يلتزمُوا الالتزام الصحيح بقواعد الدين الحنيف، ونهجه القويم السليم. .

ذلك أنَّ حضورهم إلى المساجد إمّا دفْعاً من الآباء، أَوْ حضوراً تلقائياً لأداء صلاةٍ وإسقاط فريضة، دونما تأثرٍ أو استيعاب.

ثم يجلسون الساعات الطوال أمام الشاشة الصغيرة، أو «الفيديو»[1] فى انجذابِ وانْبهار، ومن هنا كان التناقُض.

وهو فى الواقع اهتزاز فى الشخصيَّة السويَّة، لا يأتى بخير.

ولا حَوْل ولا قُوَّة إلا بالله العلىّ العظيم.

---

(١) جاءَ فى كتاب الأسرة المسلمة أمام «الفيديو والتليفزيون» ص١٥٧ للأستاذ «مروان كجُك» أنّ إحصائية أُجْريت فى دُول الخليج العربى أثبتت وجود خمسة ملايين جهاز «فيديو»، فى حين أن هذا العدد لا يوجد فى كُلٍ من فرنسا وبلجيكا وبريطانيا مجتمعة !!

(الدِّش) أو الأطباق

وهى أيضاً ظاهرةٌ عَصْرية ابتُلينا بها، ذلك أن مُعْظم محطّات الإرسال، المرتبطة بالأقمار الصناعية فى مختلف أنْحاء العالم تتنافَسُ على اجتْذاب المشاهدين، والمشتركين. . ، وها أنت ترى تلك الأطباق قد غطَّت سُطُوح الأبنية، سواء كانت أبراجاً أو عمارات متواضعة، أو حتى فى أَحْياء شعبية طابعُها البساطة وعُنْصرها الفقر.

ولعلَّ أكثر محطات الإرسال اجتذاباً أكْثرها إباحيَّة.

ولا ننكر على الإطلاق مدى الفائدة منْها، فإن كُلّ إنجازٍ حضارىَ يَحمِلُ فى طياته بذور الخير والشَّر، فإن أريد له الإصلَاح والنَّفع آتى أُكلَه، وَإنْ أريدَ لَه غير ذلك كان له ما أراد من تدميرٍ وإفسادٍ.

تماماً مثل اكتشاف الذَّرَّة. . ، إذ استُخدمت أوَّلاً فِى الحرْب العالمية الثانية، وقليلاً ما استْهدف مالكوها والعارِفون بها والعاملون عليها، فى خَيْر الإنسانية وإسعادها.

والبلْوى ـ فى عصرنا الحاضر ـ لا تخُصُّ طائفةً ولا مجتمعاً ولا إقليماً ولا موْطناً، فقد عَمَّتْ (بِفَضْل) هذه الانجازات، وقربّت المسافات، وتجاوزت الحدود والسُّدود.

*****

أطفالنا والأغنية الشبابية و"الفيديو كليب"

قبل أن نخوض فى البحث حول هاتين القضيتين نريد أن نَضَع الأساس والقاعدة الشرعية حول الغناءِ بصورةٍ عامَّة كىْ لا نَضِلَّ ونَنْسى، أَوْ نَضْطرب فَنَهْوى؛ إذ أنّ ما أحلَّه الله ورسولُه هُوَ الحلالُ، وما حرَّمه الله ورسوله هو الحرام، ذلك إذا كنّا مؤمنين، نَشْهدُ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله..؛ وإذا كُنّا غير ذلك ـ معاذ الله ـ فهذا أمر آخر يخضع لمؤثراتٍ عِدَّة... لا مجال للحديث عَنْها هنا.

والسؤال الذى يَطْرَحُ نَفسه: هل الغناء بصفةٍ عامَّة حرام، يتحمَّل فيه الإثم مَنْ أَباحَهُ، أو غَنّى، أَوْ سَمِع؟ أم أنَّ هُناك من الغنَاء ما هُوَ مُباح؟

قطْعاً أن الإسلام كدين سماوى نَزَل بِهِ الرُّوحُ الأمين على قلْب سيِّد المرْسلين ليكون للعالمين بشيراً ونذيرا، ليس بالتَّشْريع الَّذى يَحْجر على الإنسان أحاسيسه ومشاعِرَه، أَوْ يُطفِئَ قبس توقد العاطفة فى قَلْبه، أَوْ يُحيله آلَةً جامدة..؛ وأيْضاً لَيْس بالتشريع الَّذى يَتَنزَّل وِفْق الهوى والرَّغبات، والجموح..، فَيُطْلِقُ للغرائز الحبْل على الغارب.!

إنَّه ـ ولا شَكَّ ـ التشريع الذى يقول:

﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[1].

والذى يَقُول:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[2].

والذى يَقُول:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

---

(١) سورة الإسراء الآية ٢٩.

(٢) سورة القصص الآية ٧٧.

عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾[1].

فالتوسُّط هُوَ الاعتدال والعدل، لا إفراط ولا تفريط

لذا أباح الإسلام الحُداء؛ وهو: غِناءُ الركْبان المسمى بالنَّصَب، وهو ضَرْبٌ من النشيد بصَوْتٍ فيه تمطيط.

فقد أقرَّ رسُولُ الله ﷺ هذا النَّوْع من التَّغنيّ، لما فيه من النشاط، وبَعْث الهِمَّة. فأقَرَّ حداء[2] «عامر بن الأكْوع» رضى الله عنه ، وقد كان شاعراً.

وكان له «ﷺ»: حادٍ حَسَن الصَّوْت[3]، وهو الذى قال له · رِفْقاً بالقوارير

وذلك من باب رحمته ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالنّساء؛ حتى لا تَجْمح بِهنَّ المطايا، من النياق والإبل.

وقال عليه الصلاة والسلام لـ «عبْد الله بن زيْد» ـ الذى رأى رُؤْيا الأَذان ـ «عَلِّمْها بلالاً فإنَّه أنْدى منْك صَوْتاً».

وقَد حَثَّ عليه الصلاة والسلام على اللَّهو المباح فى الأفراح، فقال: «فَصْل ما بَيْنَ الحلال والحرام الدُّفّ والصَّوْت».

ففى ضَرْب الدُّف إعْلانٌ بالنِّكاح؛ والمقصود بالصَّوْت هُو الغناء الذى لا فُحْشَ فيه[4] والدُّف هُو الذى يُضرب به، وهو معروف مشهور

وهُو النَّوْع (أى: الغناء) الذى أقرهُ رسول الله ﷺ فى حديث الجاريتَيْن (الأنصاريتين)، حيث كانتا تُغَنيان وتضربان بالدف عند عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى العيدين أيام «منى»[5].

ونقل عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ (وهو المعروف المشهور بشدته وصلابته) إقراره أيام خلافته الترنُم والتغنّى بال‍ ‍، حيث قال: (الغناء من زاد الراكب).

---

(1) سورة البقرة الآية ١٤٣.
(2) صحيح البخارى ح ٨ ص ٤٣.
(3) صحيح مسلم ح ٤ ص ١٨١٢.
(4) (تحفة الأحوذى) لـ «المباركفورى» ج ٤ ص٢٠٩.
(5) صحيح مسلم (كتاب صلاة العيدين) باب: الرخصة فى اللعب الذى لا معصية فيه أيام العيد (ج٢) (ص٦٠٨).

وقال عطاء ـ رحمه الله ـ فى الغناء بالشعر: (لا أرى بأساً ما لم يكُن فحشاً)[1].

وقال «العزّبن عبد السلام» رحمه الله: (أما اَستماع الإنشاد المحرك للأحوال السنية وذكرأمور الآخرة، فلا بأس به، بل يُندب عند الفتور وسآمة القلب)[2].

إذاً. . .

فالغناء الذى لايثير فى النفس بواعث الشر والذى لا تشبيب فيه، ولا تحريض على الفواحش والمنكرات (كالقائل: الدنيا سيجارة وكأس)؛ ولا ميوعة وتخنث، ولاإباحية الكلمة العارية، بل فيه بعثٌ للهمم وإثارة للشجاعة، وحفز على الفضائل، فهو مباح لا خلاف فيه، وهو من ترويح القلوب والنفوس؛ لأنها بحاجة إلى محطة تقف عندها من عناء المكابدة؛ قول الرسول ﷺ فى ذلك: «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإنها إذا كلت عَمِيَتْ».

والحقيقة التى لا مراء فها ولا جدال أن الأذان والصلاة هى من أفضل ما روَّح بها الإنسان عن نفسه، إذ كان عليه الصلاة والسلام يقول لـ «بلال بن رباح» رضى الله عنه: «أرحنا بها يا بلال»؛ فالصوت الندى الحسن فى النداء، ولحظات التجلى بين يدى الله تعالى فى خشوع تُطمئن القلب والنفس، وترتفع بها عن مادية الأرض، ومكابدة الحياة.

ويصف أحد إخواننا المهتمين بالتربية واقع الغناء عندنا، ما وصل إليْه من الهبوط والانحراف والتدنى فيقول: (الغناء بوصّفه الحالى غناء منحرف يحتاج إلى التقويم، بل هو أسلوب من أساليب الهدم والتدمير وذلك لما فيه من الفحش والخنا، والتكسُّر والتخنث، مما كان له أسوأ الأثر فى حياة الناس: الرجال والنساء، والصغار والكبار)[3].

والغناء بما يشتمل عليه اليوم من نشر للرذيلة، وتحريض على الفاحشة، وتميُّع وتحلُّل، إلى جانب مصاحبة للموسيقى الصاخبة، والنساء الكاسيات العاريات، فإنه بذلك يكون من المعاصى والذنوب، التى تضر القلب وتمرضه وتسوقُه إلى النفاق.

---

(١) سنن البيهقى (ج١٠) (ص٢٢٥). (٢) روح المعانى للألوسى (ج٢١٥) (ص٧١).
(٣) الأخ الأستاذ «محمد السيد الوكيل» (الترويح فى المجتمع الإسلامى) (ص٥٩).

وفى مضمار الوقاية لأطفالنا الذين يدرجون نحو المراهقة يقول الإمام «ابن القيم» رحمه الله: (يجب أن يتجنب الصبى (أو البنت) إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغناء، وسماع الفحش والبدع، ومنطق السوء، فإنه إذا عَلِقَ بِسَمْعِهِ عَسُرَ عليه مفارقته فى الكبرَ، وعَزَّ على وليه استنقاذُهُ منْه)[1].

وهذا حق.. فإن الوقاية من شرور هذه المنكرات أَفْضَلَ بكثير من معالجة الطفْل ـ ذكراً كان أم أنثى ـ بعد تعلقه وشغفه بها.

ويقول الخليفة الزاهد «عمر بن عبد العزيز» رضى الله عنه لمؤدب ولده:

(ليكن أوّل ما يعتقدون فى أدبكَ بُغْضَ الملاهى التى بَدْؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن جل جلاله، فإنه قد بلغنى عن الثقات من حملة العلم أن حُضُور المعازف واستماع الأغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب، كما ينبت الماء النبتة)[2].

وعليه، فإن كلمة «غناء» يمكن أن تطلق على المحرم منه وعلى المباح، إنما الذى يُفرِّق بينهما هو المضمون، فأى لهو اشتمل على المعازف، أو فاحش القول فهو محرم، حتى وإن تسمى باسم الغناء أو الحداء أو الإنشاد، أو... الفن أو غير ذلك من المسميات، وكل لهو خلا من المعازف وفاحش القول، وتضمن المعانى الطيبة المشجعة على الخير والفضائل فهو مُباح وإن تسمى بالغناء أو الحداء أو الإنشاد. وكذلك الرقص الجماعى، أو الحركات التوقيعية (من الرجال)، تلك التى ترسم أو تصور حادثة أو واقعة، أو تدعو إلى الهمة والفتوة، من غير عزفٍ، إلا بالدف. كما كان من رقص الحبشة فى باحة مسجد رسول الله ﷺ.

والنفوس البشرية كما قدمنا تميل فى العادة إلى الاستماع والاستمتاع طلباً للراحة، وطرْداً للمَلل والسآمة، لذا أبيح شىء من هذا اللهو البرىء، والأطفال والصغار أكثر رغبة وميْلا إلى اللهو والغناء... ، حتى فى الشهور الأولى من ولادتهم، فالأم المرضعة تشدو ببعض الترانيم لطفلها، فيزداد إقبالاً على الرضاع واستدْرار اللبن، وكذلك فى ساعة منامه، مع الترنيم البسيط برفق وحنان، فى

---

(١) (ابن القيم) (تحفة المودود بأحكام المولود) (ص١٦٩) .
(٢) (ابن رجب) (نزهة الأسماع فى مسألة السماع) (ص:٦٨، ٦٩) والقول عن ابن مسعود رضى الله عنه.

توافق مع النغم، فيستسلم للرقاد.

وتشير السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ إلى موضوع مسلك الأطفال (الكبار) إلى اللهو والغناء والحركات التوقيعية، حين تحدثت عن رؤيتها للحبشة وهم يلعبون فى باحة المسجد وكانت فى سنّ الفتُوَّة، فقالت: «فاقْدروا قدر الجارية العَرِبة الحديثة السِّن»[1].

ويشرح لنا الإمام النووى رحمه الله مقصود السيدة عائشة من هذه الرواية فيقول: (معناه أنها تحب اللهو والتفرج والنظر إلى اللَّعب حُباً بليغاً، وتحرص على إدامته ما أمْكنها ولا تملُّ ذلك إلا بعُذرٍ من تطويل.

وقولها: فاقدروا . . . أى قدروا رغبتنا فى ذلك إلى أن تنتهى .

وقولها: العربة، معناه: المشتهية للَّعب، المحبة له.

وهذه ولا شك إشارة تربوية حسنه من السيدة عائشة أم المؤمنين، رضى الله عنها تبين طبيعة الطفل، وشدة رغبته وميْله إلى اللهو، كما أن فى إشارتها هذه توجيهاً للمربين بمراعاة ذلك في منهج التربية، وعدم التطرف والتشدد، فيما لا يشرعُ فيه التشدُّد، كهذا النوع من اللهو المباح.

وهنا تبرز مهمة الوالدين فى الاختيار والتوجيه بما يناسب الأطفال، لعقولهم ومشاعرهم ليغرس فيها القيم السليمة والفضائل الحميدة، وينأى بهم عن الغث من اللهو، والفاحش من الكلمة أو الحركة.

وحيث أننا قد رغبنا بأطفالنا (فتياننا) عن كل ما هو دنئ من فاحش القول والحركة، واللحن المصاحب، فإننا نودُّ أن نشير إلى ظاهرةٍ بَرَزَتْ إلى هذا الميدان من عهد قريب ـ فى بلادنا ـ وهى ظاهرة (الأغنية الشبابية) كما سُميتْ.

إن من حق كل جيل من الأجيال أن يكون له نمطه وأسلوبه فى الحياة،وأن يكون التجديد فى ذلك ظاهرة حركة وحيوية فى هذه الحياة،وإلا فإن الخمود والتوقف يعنيان النهاية، وليس من حق الآباء أن يقسروا أبناءهم عل منهجهم، أو أسلوبهم، بل على العكس يعطونهم حرية التصور والتعبير والإبداع.

---

(١) صحيح مسلم (ج٢) (ص٦٠٨).

ولكن أى تطور وأى تغيير؟

إن للحرية مفهوماً تراعى فيه حدوده ورسومه، فإنْ لم يأخذ بها ويتوقف عندها، انقلبت الحرية إلى ضدها وأصبحت فوضى، وتحت شعار هذه الدعوى تغافل كثير من الأفراد والمجتمعات عن الثابت والمتطور فى حياة الإنسان وكيانه.

إن الإنسان فى فطرة تكوينه ـ التى فطره الله عليها ـ ثوابت لا يمكن أن تحول أو تزول مهما امتد الزمن، وتقادمت العصور، فحاجته إلى النوم والطعام والكساء والزواج وغيرها، قواعد ثابتة فى أصول وجوده واستمراره وهذه قد تتغير أشكال وأنماط التعامل معهاوالصور التى يمارسها بها وهى ولا شك فى ترق دائم مع تقدم الإنسان فى مضمار العلم المادى.

وهناك ثوابت أخرى فى كيانه الفطرى: النفسِ والوجدانى، من ميل إلى الخير أو الشر، أوالعدل أو الظلم، و الحقد أو الواجب، فيما يسعده ويسره، أو يشقه ويضره، وهذه أيضاً تستمر معه استمرار وجوده وبقائه، ولا تغير معها فى ديمومتها إلا الشكل الذى يُعبر عنها، من غير تنكرٍ لها أو إدبار عنها.

فإن حَدَث لها ما يُخرجها عن ثبوتيتها، ومركزتها فى الفطرة، تحت دعوى الحرية والتجديد (والتنوير)..! (والتحضير)...! تحطمت القيود والسدود، وضربت الفوضى أطنابها واختلطت المفاهيم، وزالت القيم.

وعلى سبيل المثال:

من حقك أيها الفتى ـ العزيز ـ أن تستمع إلى الموسيقى والغناء، وأن تستمتع بهما، ولك فى ذلك من مفهوم الحرية الشخصية ما تشاء، ولكن ضمن حدود يجعلها مقياساً ثابتاً، تحافظ فيه على (حقك) وعلى (حق المجتمع)؛ لا أن تطلق لمذياع سيارتك (يدش) على الآخرين بـ (الرزع) الثقيل الذي يصم الآذان، والصخب والضجيج المزعج، استمعْ ما بدا لك، ضمن سيارتك وأُذنَيْك...!

واعلم أن ما نقوله لك ليس حجراً على حريتك، ولا كبتا لها، بل صوناً للحرية بمفهومها العام عن أن تنتهك، فمن حق الناس عليك أن لا يضرهم أو تؤذيهم فى مشاعرهم وأسماعهم.

وكذلك أنت يا فتاتى العزيزة!!!

إن الأغنية الشبابية (وارد الخارج)؛ (بضاعة صُدرت إلينا)، كنا نراها أو نسمعها منذ سنوات، فى المذياع، أو على الشاشة الصغيرة.

مجموعات غفيرة من الفتيان والفتيات (فى عمر الزهور)، قد احتشدوا لا أدرى أين !؟ فى تكدس وتلاصق وأنوار خاطفة من كشافات شديدة الإبهار، تموج فوق رؤوسهم، فى ألوان متعاقبة سريعة، تكاد تخطف الأبصار.

والمغنى (مع الكورس) تصحبة فتاة فى مثل سنه قد كشفت عن أكثر من ثلاثة أرباع مساحة بدنها، وسرّحت شعرها، أو (باروكتها) المستعارة بطريقة غريبة عجيبة يمجها الذوق السليم، وتدنى فى أذنيها أقراطاًكأنها (عناقيد العنب).

المغنى يعزف على آلته بحماس وقوة،وعنف. . ،وفى تلاحق نغم صاخب. . ، والفتاة تصاحبه فى الأداء،أو (تتشخلع) بين يديه فى حركات (هستيريه) مثيرة لكل هابط من الغريزة. . ، أما المشاهدون السامعون فإنهم كموج البحر المتلاطم، فى انفعالهم وحركاتهم.

ونَحْن. . بحكم التقليد كمرض وبائى،شديد العدوى. . ،يسرى إلى البدن الضعيف،قد تلقينا ذلك،ثم سايرناه، وتابعناه، وحذوناه شبرا بشبر وذراعاً بذراع.

وصَدَق سيدنا رسول الله ﷺ إذ يقول: «. . حتى لَوْ أن أحدَهم دخل جُحر ضب لدخلتموه»[1].

هذا فضلاً عما تضمنته هذه الأغنية من دواعى الفجور والفحشاء، والانحلال والرذيلة وفى مراجعة هادئة، من غير تشنج وانفعالات، تبين لكل ذى لُبٍ وصدق حقيقة ما نقول.

ونَحن فى هذا التوجه لا نقصد إلا حماية شبابنا وفتياتنا وأطفالنا من خطر محدق، وطامة كبرى. والله يقول الحق وهو يهدى إلى سواء السبيل.

---

(١) الضبُّ: حيوان من الزواحف، شبيه بالفار، له ذيل كثير العُقد، حتى قالوا فى الأمثال: (أعقَدُ من ذنب الضب). وفى تمام حديث رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لوان أحدهم دخل جُحر ضبٍ لدخلتموه» وعليه الصلاة والسلام يحذر أصحابه ومن بعدهم من الانحراف عن جادة الحق والصراط المستقيم بالتقليد الأعمى. . !

وتطورت. . . الأغنية الشبابية ـ وغيرها أيضا ـ من الأداء الصوتى، إلى الأداء المرئى، بالتصوير والعرض، ولكن أى تصوير؟ وأى عرض؟

فلا بد من مصاحبة الأغنية، فى كلماتها الفاجرة الهابطة، والمنحلة، حركات سريعة ولقطات أسرع، يزيغ معها البَصَر ويخطف، أنوارًا متراقصة تتسابق مع سرعة النغم، تكاد تعمى.

كما لابد من لقطات متشابكة صعوداً وهبوطا، فقد ترى نفسك مع المغنى فى قمة جبل عالٍ، ثم فجأة فى قاع المحيط مع الحيتان وسمك القرش، أو ترى نفسك مع المغنى فى حديقة زهور جميلة بديعة، ثم تفاجئك ذوابات النيران الملتهبة كالجحيم!

وكم من الخيالات المريضة لدى المخرجين والمصورين، وهم يعتقدون أنهم يُقدمون فناً بديعاً، يحكون من خلال الصورة والحركة، قصة الأغنية!؟

ولا بد أيضا أن يضم هذا العرض فتيات بارعات الحسن والجمال، فى رقص خليع، أو عرى فاضح، تغمز أو حركات مثيرة للغرائز الحيوانية، بالأيدى والأبدان، أو عيون متكسرة الأجفان، تغمز بالفجور والعِصْيان.

وقد امتلأت أندية (الفيديو) ومكتبات محطات الإرسال بالعديد من هذه الأشرطة، والتى لا حصر لها، كما (خصصتْ) لها قنوات إرسال!

إن فى ذلك النهج ضرراً على بيوتنا وأطفالنا وأجيالنا، وكبارنا وصغارنا، وعلى مجتمعنا كله، بدون استثناء.

أما الدعوى بأننا نجارى روح العصر، فتلك ـ لعمرى ـ دعوى باطلة، وهى فى حقيقتها، مبنى ومعنى، كجحر الضب الذى حذرنا منه معلم الأولين والآخرين سيدنا رسول الله ﷺ!

فما قيمة الاحتفالات والمناسبات التى نقيمها بين الحين والحين احتفاءً واحتفالاً بتكريم سيد المرسلين، إنْ لم نَلتَزِم سنته، ونهتد بِهَدْيه، دونَ أنْ نُفَرط بتميزنا ووجودنا، ومهمتنا الجادة فى بناء الحضارة الإنسانية.

لايستطيع البيت المسلم فى هذا التيار الجارف أن يحمى نفسه، مهما كان الأب

أو الأم على جانبٍ عظيم وفائق من الالتزام والوعى والإدراك، والضبط والربط.

وإن فى اللجوء إلى السلبية - كما يراه بعض الباحثين - ضرراً أشد وأخطر، سلبية المقاطعة والعنف والتصرُف!

فلا بد من وقفة مسؤولة، تكرس لها عقول وأقلام المتخصصين الصادقين، لتقييم الموقف ومراجعة الواقع، وتقويم المسار، قبل أن يأتى يوم لا ريب فيه، فتسأل كل نفس عما اكتسبت، والأيدى عما فعلت وقدمت.

واليوم عمل ولا حساب، أما الغد فحساب ولا عمل! إنَّ فى ذلك لذكرى لِمن كان لهُ قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

****

المخدرات...والمراهقة

عرفت المخدرات (الحشيش) منذُ زمن سحيق فى التاريخ، ولعل اسم طائفة الحشاشين، التى عاصرت الحملات الصليبية على بلادنا، وتعاونت معها وتحالفت، قد أتى ـ هذا الاسم ـ من تعاطيهم لهذا السم القاتل، الذى يغيب العقل تماماً، ويجعل صاحبه (متعاطيه) أداة طيعة للأوامر التى تصدرُ إليه، فينفذها وهو لا يدرى ما يفعل.

ثم انتشرت هذه السموم بمشتقاتها وأنواعها فى العصر الحاضر، فى كل أنحاء العالم، انتشاراً لم يسبق له مثيل.

وأسباب تعاطيها كثيرة ومتنوعة، لا تتوقف عند حالة اجتماعية معينة، ولا على طبقة من طبقات المجتمع بالذات، ولا على فئةٍ دون فئة؛ اللهم إلا من سلم منها بفضل من الله ورحمة.

واقع انتشارها:

تشير كثير من الاحصائيات إلى تزايد عدد المتعاطين للمخدرات فى العالم، فى ذلك العالم الثالث ـ ومنه بلادنا العربية الإسلامية.

ففى العالم ما يزيد على عشرين مليون مدّمن مخدرات[1]، وأكثر من نصفهم بدأوا بتعاطيها قبل سن البلوغ، أى: فى سن الطفولة[2]، بداية مرحلة المراهقة.

وهذا يحصل رغم التوجه العالمى ضد المخدرات، ومروّجيها، ورغم الكميات الهائلة التى تضبط فى نقاط التفتيش المختلفة، أو عن طريق رجال مكافحة المخدرات داخل الدوّل.

ففى عام (١٩٨٥) ضبطت سلطات الجمارك فى دول العالم أكثر من مائة طن من المخدرات الطبيعية (الخام)، وأكثر من ثلاثين مليون جرعة من المخدرات الصناعية، كما تم القبض على أكثر من ثمانين شبكة سرية لتهريب المخدرات فى

(١) (مجلة الشرق الأوسط) عدد (٦٦) (ص١٥).

(٢) مركز أبحاث مكافحة المخدرات والعقاقير المخدرة (ص١١٦).

مطار «هيثرو» فى بريطانيا.

ورغم الحرص الظاهر من دول العالم تجاه محاربة المخدرات، إلا أن هذه الكميات المضبوطة لا تشكل أكثر من عشرة فى المائة (١٠٪) من إجمالى المخدرات المنتجة والمستخدمة فى العالم؛ ويدل على ذلك آثار هذه المخدرات المدمرة، حيثُ وجدَ أنها خلَف معظم الجرائم والكوارث.

فقد جاء فى تقرير لمنظمة الصحة العالمية: أن ستة وثمانين فى المائة (٨٦٪) من جميع جرائم القتل، وخمسين فى المائة (٥٠٪) من جرائم الاغتصاب والعنف، وخمسين فى المائة (٥٠٪) ـ أيضا ـ من نتيجة حوادث المرور، تمت تحت تأثير المسكرات ـ والمخدرات.

ومما يدْعو إلى العجب والأسف معاً أن دولاً عربية وإسلامية هى من منتجى هذا السم ومصدِّريه، وأن اقتصاد بعضها يقوم فى جانب منه على هذه الآفة[1]، وما من شكٍ فى أن هذه الدول المنتجة والمصدرة هى أكثر الدول تورُّطاً فى مشكلة المخدرات وأزمتها، محلياً وعالمياً.

أما عندنا فى مصر، فبالرغم من الإعلان الدائم ـ واليومى تقريباً ـ عن ضبط كميات ضخمة، وسقوط مهربين وتجار، ومتعاطين، فى أيدى السلطات المختصة، إلا أن كل ذلك لا يتجاوز نسبة عشرين فى المائة (٢٠٪) من الكميات التى تدخُل خلسة، وتستهلك فعلاً، وتدل بعض الدراسات ـ وللأسف ـ أن ثلثَ طلاب الجامعات من المدْمنين.

ولقد سمعْت من مسؤول، وفى موْقع مسؤول مايُؤكد صحة هذا القول، وأضاف بأن مادة «البانجو» المخدرة تباع عند أبواب الجامعات.

وأخطرمن هذا كله أن الأطفال فى سن الرابعة عشرة وما دونها، (وهم فى مرحلة المراهقة) يجربون المخدرات بنسبة واحد إلى ثلاثة (١ـ٣)، ويستمر بعضهم فى تعاطيها بنسبة واحد إلى تسعة (١ـ٩).

مما يؤكد مدى خطورة الوضع الذى نعانى منه جميعاً، ولا نأمن معه على

---

(١) أفغانستان وباكستان وتركيا.

أولادنا من احتمال تعاطى هذه السموم، على سبيل التجريب، وحب الاستطلاع، أو احتمال دسها له فى مطعوم أو مشروب من قبل رفاق السوء، فيتعودً الولد عليها.. ومن ثمَّ يُدْمن، وربُما انتهت حياته معها بجرعة واحدة[1]، أو ذهب عقله إلى الأبد.

ولا شك أن إهمال الأب فى هذا الشأن مسؤولية، ولكن المسؤولية الأكبر والأهم هى نظافة وطهارة المجتمع كُليَّةً، فالكل مسؤول من موقع اختصاصهِ وعمله.

أعرفُ إنساناً نشأ نشأة غير سليمة، فوقع فى سلسلة من الدوامات المتلاحقة، والظروف الصعبة، وانتهى به الأمر بعد الزواج ووجود الولد إلى الوقوع فى المحظور، وقبض عليه وحوكم، وأودع السجن لقضاء العقوبة.

ثم عرفت أخيراً من بعض زائريه أنَّه طَلَبَ إلَيْهم أنْ يأتُوا له بـ «البانجو» الذى أدمنه، وهو فى السجن!

ما عجبتُ للطَّلب، فإن الإدمان يدفع إلى ذلك، ولكن عجبتُ لوصول ذلك إليه فى زنزانته،أو محبسه فلولا أنَّه قد رتَّب ذلك لما تجرأ على الطلب!

ولقد استغل الإسرائيليون العملية السلمية فقام بعض المهربين والمروجين لهذه السموم بإدخال كميات أكبر إلى مصر؛ولقد قبض فى عام (٢٩٨٦) على ثلاثة وثمانين مروجاً إسرائيلياً للمخدرات[2].

أسباب التعاطى:

تشير الإحصاءات إلى أن أكثر المدمنين للمخدرات فى العالم من الشباب حتى تبلغ نسبتهم حوالى السبعين فى المائة (٧٠٪) ووُجد أن من أهم أسباب انحرافهم: الاضطرابات الأسرية، بُعْد الأب عن مسؤولية التربية بالسفر أو الوفاة، أو لسوء أسلوبه فى التربية.

ومما يدفع الشباب أيضاً لتعاطى المخدرات الفشل فى الحياة، عدم الثقة

---

(١) اعرف ذلك حق المعرفة.

(٢) مجلة (المجتمع) ـ الكويتية ـ العدد (٩٠٣) (ص: ٣٢).

بالنفس، والعزلة، عدم وجود الأنيس، إلى جانب عدم وجود الروابط الاجتماعية القوية المتنوعة.

كما دلت بعض البحوث على أن أهم الأسَباب المفضية إلى تعاطى هذه السموم ترجع إلى الفراغ المُمل ومخالطة رفاق السوء.

ووصفت إحدى هذه البحوث أفراد العينة التى أجرى عليها البحث أنهم ينتمون إلى فئات ذات ذكاء منخفض، ومستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية أيضاً منخفضة؛ أى أن أكثر المتعاطين لهذه السمومُ من الفقراء المحتاجين، إذ يستغل المروجون حاجتهم وعوزهم بتحقيق مآربهم الخبيثة فى نشر المخدرات، وبيعها بواسطة هؤلاء المحتاجين، أو بيعها عليهم، خداعاً منهم بأنها تخفف عنهم هموم الفقر والحاجة، فيتورطوا فيها.

ولكن.. لابّد من القوْل بأن ما تقدم من الأسباب التى تدفع إلى التعاطى لا تتجاوز أن تكون انحرافات فرعية لانحراف رئيسى أساسى هو السبب الأهم والأعظم فى وجود كل الانحرافات الأخرى، وهو: ضعف الوازع الدينى فى قلوب متعاطىّ هذه المواد، وقلة صلتهم بالله عز وجل، إذ لا فقر ولا ملل ولا مشكلة أيا كان حجمها يمكن أن تسوق (المؤمن) المتصل بالله إلى مثل هذه الجريمة والهاوية السحيقة.

فقد اتفق المصلحون على أن ضعف الوازع الدينى هو سبب انتشار المخدرات، وهذا يعنى أن الحل الأمثل لهذه المشكلة ومحاربتها وحماية النشئ منها يكون بالتوعية الدينية والتربية الإسلامية الصحيحة فى البيت والمسجد والمدرسة، مع التزام أجهزة الإعلام بنشر النافع.

فكل مؤسسة تربوية تساهم بنصيبها فى هذا الميدان.

أما البيت فهو أهم هذه المؤسسات، إذ يقف الأب قواماً عليه فاتحاً أبواب الخير إليه، مغلقاً أبواب الفساد عنه، فوجود الأب الصالح فى البيت ـ وكذلك الأم ـ أعظم سبب للإصلاح ـ بعد توفيق الله؛ كما أن غيابه، أو ذهاب سيطرته، أو ضعف شخصيته، يعد أهم أسباب تشرد الأجيال الحديثة، وانغماسها فى الرذائل والانحرافات المختلفة.

التدخين سبب مباشر فى تعاطى المخدرات:

ويعدُ التدخين من أكثر الظواهر السيئة انتشاراً فى العالم، فلا توجد فئة، أو طبقة من الناس ـ أيًا كانت ـ إلا ويوجد بينها من يتعاطى التدخين، ونظراً لهذا الانتشار الواسع أصبح وجود السجاير فى البيوت، وتهيئتها للمدخنين، وعدم منعهم من التدخين فى الأماكن العامة أمراً مسلماً به من قبل غير المدخنين.

وقد ثبت بما لا يدعو إلى الشك أن تعاطى التدخين إما عن طريق السجاير أو النارجيلة (الشيشة)، أو غيرها من الوسائل مضرة تفتك بالبدن، وتعد سبباً هاماً ورئيسياً للإصابة بسرطان الرئة، فقد أعلنت هيئة الصحة العالمية عام (١٩٧٥) أن التدخين أشد خطراً على صحة الإنسان من أمراض السُّل والجذام والطاعون والجدرى مجتمعة[١].



(١) (عبد الله جار الله الجار الله) (من أضرار المسكرات والمخدرات) (ص٦٢).

الخادمات الأجنبيات وخطرهن على أطفالنا

ظهرت فى السنوات الأخيرة بدعة استخدام الأجنبيات فى بيوتنا وفى معظم دول عالمنا العربى، وتزايد الطلبُ عليهن يوماً بعد يوْم، وقد تأسست من أجل ذلك مكاتب وشركات يتعاطون تأمين هؤلاء باستحضارهن وتوظيفهن، لقاء عمولات.

ولو رجعنا إلى أسباب ذلك التصرف غير المسؤول، وغير الواعى، بَلْ غير المدْرك للأخطار التى سوف نعرض لها - إن شاء الله تعالى - لوجدناها ترجع إلى:

أولا: انشغال الأمهات (الزوجات) بالعمل خارج البيت.

ثانياً: طلباً للراحة والاسترخاء - وهى حالة بعض الأثرياء!!

ثالثاً: الزُّهد فى معاناة رعاية الأطْفال - وإنْ قلَّ عددهم!!

رابعاً: مسايرة باقى الأسر فى المجتمع، طلباً للمفاخرة وحب التظاهر.

خامساً: توظيف الخادمة للقيام بشئون بعض كبار السِّنِّ من الأهل. إلى غير ذلك من الأسباب، التى قد تخطر فى البال، أو لا تخطر.

وما من شك فى أنَّ الطبقة الاجتماعية التى تقدم على ذلك هى الطبقة الموسرة القادرة مادياً على الإنفاق والبذل، وقد تجد فى البيْت الواحد - حَسب الوضع المالى - أكثر من خادمة.

وعملية الاستقدام والاستخدام محصورة فى إطارها التجارى المحض والتنافس وحب الظهور، دون النظر أو الاهتمام بأى أثر آتى أو مستقبلى على الأسرة، وعلى الأجيال، أو مدى الخطورة الكامنة وراء ذلك، سواء من الناحية العقائدية، أو الثقافية، أو الخلقية.

ذلك أن معظمهن - أى الخادمات العاملات - قد استقدمن من دُول جنوب وشرق آسيا، فهن وثنيات، أومن ديانات أخرى مغايرة لديننا الحنيف، والقليل القليل منهن مسلمات، وهذا لا يعنى بالضرورة التخفيف أو التقليل من جدة

خطرهن أبداً، فقد تكون المسلمة منهن على غير التزام أو خُلُق، كما أن لُغتها ليست عربية، وإن هى عرفت بعض الكلمات فلكنتها غير سليمة!

وهذا الانفلات الواسع غير الواعى وغير المنضبط، أدى إلى وجود أعداد هائلة من هؤلاء الخادمات فى بيوت المسلمين وديارهم، فيشرفن بحكم عملهن على تربية ورعاية أطفالنا منذ شهورهم الأولى، وحتى سنوات متقدمة من أعمارهم.

وهذا الأمر بل هذه الحالة الشاذة، تشير إلى ظهور جيل من أبنائنا قريباً لا يمت إلينا إلا بالأسماء فقط، قد اختلط فى عقله ووجدانه الاعتقاد، واختلف السُّلُوك، وظهرت العجمة فى الألسنة، واللكنة فى الكلمة! والتحلل الخلقى.

هذا الخطر الداهم، والبدعة المستنكرة تقتضينا أن نفصل فى الأخطار، ونبين الآثار، مستهدفين صالح مستقبل بيوتنا وأبنائنا، وأجيالنا الطالعة

[أ] الخطر على العقيدة:

تدل نتائج بعض البحوث والإحصاءات الميدانية فى أقطارنا العربية، من المحيط إلى الخليج، على أن أكثر المستقدمات من هذا الصنف من الخادمات غير مسلمات، إذ بلغت نسبتهن فى سنتين من ستين إلى خمسة وسبعين فى المائة، (٦٠ـ٧٥٪)؛ وأن عدداً كبيراً منهن ينتمى إلى معتقدات وثنية، (بوذية وغيرها)

وأن حوالى سبعة وتسعين ونصف فى المائة (٥، ٩٧٪) يمارسن طقوسهن الدينية حسب معتقدنهن، فى صميم بيوتنا، وعلى مرأى ومسمع منا، ونترك لهم الحرية فى ذلك، وقد نستغرب نحن تلك الطقوس أو نشاهدها من قبيل الفضول، تاركين لأبنائنا الصغار مجالا واسعاً فى ذلك، غير حاجزين ولا ممانعين.

وتتضح الخطورة بصورة أكبر وبصفة أشمل وأوسع إذا علم بأن حوالى خمسين فى المائة (٥٠٪) من هؤلاء الخادمات يقمن بالإشراف الكامل على الأطفال، مما يؤكد سهولة تأثيرهن، وبث أفكارهن، وعقائدهن المنحرفة.

وقد أثبتت بعض الدراسات فى إحدى دول الخليج العربى أن نسبة خمسة وعشرين فى المائة(٢٥٪)من الخادمات يكلمن الأولاد فى القضايا المتعلقة بالدين والاعتقاد.

فالطفل الذى لا يشاهد سوى الخادمة فى البيت، ولا يعرف أمه إلا نادراً،

فإنه يأخذ من (مربيته) كل ما عندها من مشاعر وقيم ومهارات وخبرات، فهى معلمتُه وملهمته وسكنه الجسدى والنفسى، وهى كل شىء فى حياته.

فهذه العلاقة القوية التى تبنى فى سنوات طويلة بين الولد والخادمة الأجنبية تكون جسورا قوية من الألفة والمحبة، إذ يتعلق الولد بالخادمة تعلقاً يفوق فى بعض الحالات تعلقه بأمه، فيتقبل منها كل شىء من تصورات وأفكار وعقائد، وغير ذلك.

إذ إن الطفل لا يميز بين الخير والشر إلا بالتلقين والتعود، كما أنه ليس من السهل اكتشاف فكر الخادمة فى بث ما يخالف عقيدة الوالدين، خاصة إذا كان الأسلوب المستعمل غير مباشر.

فقد يرى الطفل الخادمة، فى أول سنوات وعيه، توقد شمعه أمام صورة لـ«بوذا» وتشبك يديها، وتتمتم ببعض كلمات، فيسألها من باب التطفل والاستفسار عما تفعل؟ فتشرح له معانى تلك الحركات والكلمات، ولا تكون اللغة عائقاً أبداً إذا كانت تعرف بعض الألفاظ العربية، وهذا مطلوب فى أكثر البيوتات، وأعرف رجالاً شيوخاً لا يتقنون كلمة إنجليزية، ولا يعرفونها أصلاً، قد تعودوا وتلقنوا بعض الكلمات من أبنائهم أو بناتهم ليخاطبوا بها الخادمة، أو يطلبوا منها شيئا معيناً.

وأقل ما يمكن أن تحدثه الخادمة ـ غير المسلمة ـ فى الإخلال بالعقيدة فى نفس الطفل أن توقع فى نفسه حب الكفار واحترامهم من خلال حبه لها وتعلقه بها، ومتابعتها فيما تأمره به أو تنهاه عنه.

(ب) الخطر على الأخلاق:

وهنا ـ عزيزى القارئ ـ بيت القصيد فى مبحثنا جملة وأساساً!

إذ يعتبر الوضع الخلقى بالنسبة للخادمات والمربيات والأجنبيات من أسوأ ما يمكن أن يكون، إذ ليس لدى أكثرهن بل غالبهن من الإيمان أو الأخلاق أو الآداب ما يمنعهن أو يردعهن عن الانحراف الخلقى؛ فقد أثبتت الدراسات الميدانية التى أجريت فى إحدى الدول العربية إلى أن المجتمعات التى ينتمى إليها نسبة ثمانية

وخمسين ونصف في المائة (٥، ٥٨٪) من هؤلاء الأجنبيات تحبذ وتفضل إقامة العلاقات العاطفية والجنسية قبل الزواج، (السريلانكيات) خصوصاً.

ولا شك في أن الخادمات المستقدمات من هذه المجتمعات المنحلة، عقائديا أو خلقياً، قد تأثرن بهذا التوجه العام نحو الفاحشة في مجتمعاتهن، خاصة إذا علم أنهن لا يتورّعْنَ الاختلاط بالرجال من أبناء جنسهن في البيوت التى يعملن فيها،أوغيرها من البيُوت؛ ولا مانع لدى بعضهن من تناول الخمور والسجائر، وسائر المنكرات، إذا وجدْن إلى ذلك سبيلا

وإذا اطّلعْنا على أعمار هؤلاء الخادمات، وجدنا أن نسبة ثمانية وستين في المائة (٦٨٪) لا يزدْن عن عشرين عاماً، وأن نسبة اثنين وأربعين في المائة (٤٢٪) لم يسبق لهن الزواج.

وهذا ـ بحدّ ذاته ـ خطر واضح قائم في جزء هام من بلادنا، إذ يجلب إلى البيوت تحت اسْم الخادمات فتيات في ذروة حالات الرغبة والفوران الجنسي، والميْل الشديد نحو ممارسة الجنس، بالإضافة إلى انعدام الوازع الديني والخُلُقيّ.
وأيضاً بالإضافة إلى التفلّت الحاصل في آداب الاختلاط في كثير من بيوتنا الإسلامية. . .، وإمكانية اختلاء ربّ الأسرة بالخادمة، أوْ اختلاء أطفالنا ـ بنين وبنات ـ وهم في مرحلة سن المراهقة بخادمة من هذا النوع وتلك الفئة.

أو ربما ناما في غرفة واحدة بعلمْ من الأهل، أو بأمرٍ منهم، تحتَ دعوى المحافظة على الطّفل أثْنَاء فترة نومه، فما الذى يمكن أن يحول دون أن (تَفْتَرس) تلْك الخادمة الضائعة ذلك الولد ـ أو البنت ـ اللّذين قاربا البلوغ؟ بل ما الذى يمنعُها من أن (تعبث) بهما فَتُطلعُهما على قضايا جنسيةٍ لا يعرفانها،وهم في عطشٍ وظمأٍ فطْرى إليها؟ بل ـ أيْضاً ـ ما الذى يمنعها من ممارسة الجنس معهما بطريقةٍ من الطّرق، سواء كانت عادية أم شاذّة.

ولعلّ أقلّ عَمَلٍ تقوم بِهِ أمام الطّفل أن تخلع ملابسها أمامه لتستبْدلها بغيرها، وهو ينظر مشدوها إليها. .؟

فما الذى يمنعها من كل هذا؟

وقد حدث بالفعل أكثر من ذلك، وفى أكثر من بَيْتٍ. . .، ومن رب البيت نفسه. . !

انها ـ ولا شك ـ مأساة بكُلّ المقاييس الدينية والأخلاقية والاجتماعية.

نحن لا نتجنى ولا نتهول، إنما نتحدث عن واقعٍ مرير مؤلم، وإِنذار بمستقبل خطير، على أبنائنا وعلى مجتمعنا ككُلّ.

وفى تساؤلاتنا التى عرضنا إشعارٌ للأب وللأُم، الحريصيْن على الأسرة والبيْت والمجتمع، إمكانية حدوث انحرافات خلُقيَّة من الطفل المراهق، وغير المراهق أيضاً، من جرَّاء وجود هذا النَّوْع من الخادمات الأجنبيّات، خاصَّة صغار السنّ منهن.

ولا يقتصر هذا النوع من الخادمات الأجْنبيات ـ غير المسلمات ـ على الجانب الجنسى فقط. .، فلربّما علَّمت الولد الصغير ـ أو البنت ـ عبارات وكلمات سيئة، أو ألفاظاً قبيحة. .، أو السَّرقة. . .، أو غير ذلك من السلوكيات الرديئة، والتى تنطبع فى أعماقه وتُصاحِبُهُ فى سنين حياته القادمة. .

ولرُّبما عوَّدته التَّدْخين، ثُمّ دسَّتْ له المخدرات فألفها. . .، ولربَّما تعدَّتْ عليه بالضّرْب والسبِّ والشتّمْ. .، كل هذا ممكن الحصول، وأكثر منه، مِمَّن لا رادع عندها من دينٍ أوْ خُلُق.

(ج) الخطر على الثقافة:

إن اعتماد الأسرة على الخادمة الأجنبية فى جميع شؤون الأطفال، أو فى معظمها، يجْعل منها عازلاً بينهم وبيْن المربيّن الطبيعيّيْن ـ الأب والأم ـ، فتنفرد بتربيته وتوجيهه لتشوهُ من ثمَّ كلّ القيم والعواطف والمشاعر التى لا توجد إلاّ فى الأسرة العضويَّة الطبيعية المتكاملة، والتى يتولى فيها كلّ عُضو عمله ومُهِمَّته الوظيفيَّة الطبيعية.

فهى كما تُسىء إلى الطفل فى عقيدته وخلُقِه، تُسىء إليه فى ثقافته ومفاهيمه.

فالخادمة الأجنبيَّة ضائعة وحائرة بين ثقافتيْن ونظامين للحياة، فلا يمكنها نَقْل

الثقافة العربية الإسلاميَّة لِمَنْ ترعاه، لكونها لا تعرفها، ولا تُجيد اللغة العربية (الفصحى أو العامية)؛ ولا تستطيع نَقْل ثقافتها ومفاهيمها الأجنبية لغرابتها عن الثقافة المحليَّة فى معظم جوانبها؛ فإنَ معظمهُنَّ لا يتكلَمْن العربية؛ ونسبة الملمات بها لا تزيد عن الثمانية فى المائة (٨٪) من مجموع الخادمات المستقدمات..، فإيكال مهمة نَقْل الثقافة والاشراف التربوى عل شؤون الطفل للخادمة الأجنبيَّة يُعتبر خطراً جسيماً فادحاً على ثقافة الطفل، ولُغته العربية، لأن خمسين بالمائة (٥٠٪) من النموِّ العقلىّ والإدراك يتم فى حدود السنة الرابعة من عمر الطفل، كما أن البنية اللغوية عنده ـ كأداةٍ للتفكير والتعبير والاتصال تبدأ فى سنٍ مبكّرة.

لهذا فإن تولىّ الخادمة الأجنبية هذه المهمة أَمْرٌ لا يجوز التهاون فيه؛ ولا الإغضاء عنه.

وقضيَّة اللغة عزيزى القارئ ـ لا تقتصر على مسألة التخاطب فحسْب، بل هى الوعاء الفكرى والثقافى والحضارى الذى ينقلُ إلى الطفل عقيدته، وقِيَمهُ، وعاداته، وتاريخ أمتِه ورجالها ونساءَها، فكيْف يمكن أن توكل إلى خادمةٍ ضائعةٍ حائرة مذبْذبة، هابطةَ العقيدة والخُلُق مهمة صعبة كهذه؟

ومما هُو جدير بالذكر فى هذا المجال، مما شاهدناهُ وسَمعْناه، أن تأثر الأطفال بلهجة الخادمة الأجنبيَّة واقع لا مراء فيه..، فقد أظهرت نتائج الدراسات الميدانية والوثائقية أن قرابة خمسة وعشرين فى المائة (٢٥٪) من أطفال الأسر التجريبيَّة فى المرحلة الأولى يقلّدون هؤلاء الخادمات فى اللهجة، وأن أكثر من أربعين فى المائة (٤٠٪) منهم، تشوب لغَتَهم لكنة أجنبية، وبسبب ذلك يتعرضون لمضايقاتٍ كثيرة من أقرانهم.

هل من بديل؟

نعم، ولكن..!

إذ لا يكفى أن يستبدل رب البيْت الخادمة المسلمة بالأجنبية فقط، فإن الخطر والمشكلة لا تكمن فقط فى الخادمات الأجنبيات المسْتقدمات، بل إن بعض الخادمات المسلمات لديهن من الانحراف والضلال وسوء الخُلُق، ما يفوق بعض

الخادمات الأجنبيات.

فالواجب هنا انتقاءُ الصالحات، المستقيمات، الملتزمات...

ولا يَنْبغى - إطلاقاً - تكليفها بشؤون الأطفال..، فلا تكلَّف تغذيتهم، أو تنظيفهم، أو اللعب معهم - خصوصاً إذا كانت صغيرة السِّن وذات تجربة، أو النَوْم معهم، أو تعليمهم...، أو غير ذلك من المهام المتعلقة بالتربية، إلا عند الضرورة، وتحْتَ الرقابة الشديدة، ولفترات قصيرة محدودة، حتى لا يُصبح ذلك عادةً عندهم، أو يتعلَّقُوا بها.

وقضيَّة أُخرى هامة يجب أن يراعيها ربُّ البيْت وهى التزام الخادمة المسلمة بالحِشْمة والجديَّة، والتَّسَتُّر، وأن يتجنَّب الخلْوة بها، فإنَّ وسْوسَة الشيطان قابعة فى الصدور.

وقد نبَّهنا إلى ذلك معلم الأولين والآخرين، سيد المرسلين، سيدنا محمد ﷺ فقال:

«لا يخلون رجلٌ بامرأةٍ إلا ومعها ذو مَحْرم»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام:

«ما خلا رَجُل بامرأة إلاّ وكان الشَّيْطان ثالثهما»

والأوْلى من رَبِّ البيْت وَلَدَهُ أَوْ ابنَته، وهما فى مَرْحَلَة المراهقة، فعلى الأبَويْن أن يُجنبا أبناءَهم وبناتهم تِلْك الخلوة، لأنها السَّبيل إلى الوقوع فى حمأة الرَّذيلة والغواية.

حفظنا الله وإياكم من كُلّ سوء،

والحمد لله ربّ العالمين،

غرة رمضان المبارك عام ١٤١٧هـ

الموافق العاشر من يناير (كانون الثانى) ١٩٩٧م

---

(١) صحيح مسلم ج٢ ص٩٧٨.

الخاتمة

وبعد،

فإن أطفالنا هم ثمرةُ وجودنا، ورمْزُ بقائنا وديْمومتنا، واستمرارُ حياة بنى البشر على وَجْه الأرض، وعمارتها، همُ الأجيال تتلو الأجيال، وبهم تقوم المجتمعات الحضارية والإنسانية.

هُم عِلَّة نضالنا وكفاحنا فى الحياة.

بهم تَسْعد الحياة أوتشقى، إنْ كانوا خيرين أنجزوا، وإِن كانوا أشقياء سُفهاء ارتكسوا وانتكسوا.

ومبْعثُ الخير أو الشقاء فى أيدينا إن أَحْسنّا صُنْعاً، تربيةً وتهذيباً وتعليماً، وإِعداداً. . ! وإنْ غَفِلْنا عن ذلك الواجب ضيَّعناهم، وضيَّعنا بهم كُلَّ أمَلٍ منشود.

ونتقاسم المهمَّة فى البناء والإِنشاء أباً وأُمّاً، كل مِنّا بحَسَبِ وظيفته الاجتماعيَّة، وبِحَسَبِ قدراته فى العطاء، وبحسب تَحْصيله من الدِّين، الذى هُوَ لُبُّ كل فضيلةٍ، ومعدن كلّ خَيْر

ولا تسألنى بعد هذا عن الْخَلَلِ الذى يلُفُّ مجتمعنا، ويُعَشِّش فى عقولنا وقلوبنا؛ ذلك أنَّ (الراعى) فى شُغْلٍ وانشغالٍ !

أبٌ ليس له من دُنْيَاهُ إلاّ السَّعْى الدائب فى سبيل لُقْمةِ العيش وتحصيل القرش، ذلك إن كان مَحْدود الدَّخل، كثير العيال. . ، أما إنْ كان ذا مالٍ فإنَّه ما يزال يَسْعى إلى الزِّيادة ليُنافس الآخرين، زُخرفاً وترفاً وزينةً، وانغماساً فى دُنْيا المال، وما أدراك ما دُنيا المال، فى سهراتها ورحلاتها، و(عشاء) العمل، أو (غداء) العمل؛ وكل أسلوب مُلْتوٍ مُعْوَجَ. . !

وأمٌ ليس لها من هَمّ إلاّ الأزياء والزِّينة، والزيارات والثَّرثرات، والسَّهرات. . . ، أوْ مُنْغمِسة فى المطبخ، أو منهمكة فى غسيل الثّياب. . . ، تضيع بيْن أسماء أولادها الكثيرين، لا تُفْرِغ ما فى بطنها حتى يمتلىء من جديد، تنامُ ملء جفونَها من التَّعب والإرهاق، إن كانت رقيقة الحال، أوْ تنام ملءَ جُفُونها أكثر

النهار بسبب سَهْرةٍ إلى وقت متأخر من الليْل، إن كانت موسرة، قد أوتيت ثراءً عريضاً.

وأيْن أطفالنا من كلّ هذا؟

انظروا إلى النسبة الكبرى من فِتْياننا أيْن هُم؟ وكيْف يمارسُون حياتهم؟ تعرفون الإجابة.

لقد تخلَّتْ النسبة الكبيرة من الأمهات عن مسؤولياتهن، رَغبةً أو قهرا..

كما انْشغل الأبُ عن مُهمته عَبًّا لِلْمال، وزُخرف الحياة الدُّنيا، أو سَعْياً حثيثاً وراء اللُّقمة تكاد الأنفاس تتقطع من خلاله.

فالأب مشغول..!

والأمُّ متخلية..!

إنّ جَرَسَ الإنذار لسوءِ المآل يضجُّ في أسماع الزَّمَن، ولكننا عَنْه في صَمَم، فمتى نَسْمع؟

متى نرفع أصابعنا عن آذاننا؟ ومتى نحدِّق بأبصارنا وبصائرنا في واقعنا المؤلم المرير؟ متى لا نكفّ عن استغشائنا ثيابنا؟

متى نستفيق؟

أخي وأخْتي، ابني وابنتي...

لقد عرضت معكم على مدى صفحات ظاهرةٍ من ظواهرِ الحياة الإنسانية، في مرحلةٍ مبكِّرةٍ من الحياة، هي من أخطر وأهم المراحل ـ مرحلة المراهقة ـ؛ وما من شَكٍ في أنْ إغفال الوقاية والعلاج هو الذى أودى بنا إلى ما نَحْن فيه، من فسادٍ في الأجيال يكاد يغطي أكبر مساحة، وذلك أمر خطير، ولكنه ليس بالعسير، إن نَحْن تَدَبَّرْنا أمْرنا، وبادرنا إلى الصَّحْوة.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة